إثراءُ المقال
في شرح ردّ الإمام على الجهميّ الضّالّ

الطبعة الثانية

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

مجموعة مؤلفات وشروحات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٢)

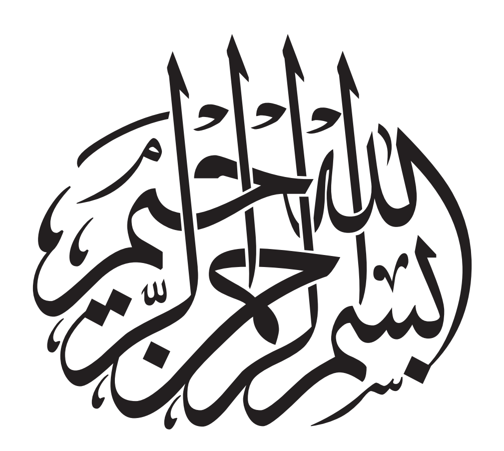
إثراءُ المقال

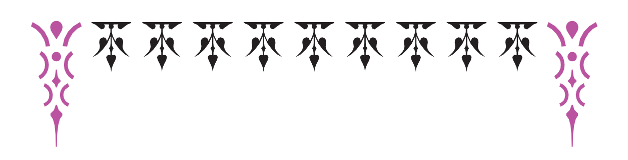
في شرح ردّ الإمام على الجهميّ الضّالّ

للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ

شرح فضيلة الشيخ

عبدالعزيز بن عبدالله الرّاجحيّ





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فهذا الكتاب **(إثراء المقال في شرح ردِّ الإمام عَلَى الجهمي الضال)** شرح لجواب شيخ الإسلام عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب التميمي (١٢٨٦هـ) رَحِمَهُ اللهُ، وجوابه هذا ردٌّ على سؤالٍ لجهميٍّ ضالٍّ من أهل عُمان، وهذه الرسالة جواب على أسئلة وردت إلى المؤلف رَحِمَهُ اللهُ من جهمي منحرف من أهل عُمان يريد أن يستعجز بها بعض المسلمين، وهذه الأسئلة تتعلق بالاسم واشتقاقه، وفي القضاء والقدر، والاستواء على العرش. وبما أن شيخ الإسلام لم يُسمِّ جوابه هذا فاستحسنا تسميته من خلال جوابه (ردُّ الإمام عَلَى الجهمي الضال) وأسميته (إثراء المقال...)، وقد كان شرحنا في مجالس علمية، تم تفريغها والعمل عليها، فخرجت في هذه النسخة المطبوعة.

نسأل الله ﷻ أن ينفع بها كل من قرأها أو اطلع عليها.

وأسأل الله تعالى أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يبارك في الجهود، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

✍ كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي



ترجمة الشيخ
عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
(١١٩٣ ـ ١٢٨٥هـ)

❐ **اسمه ونسبه:**

هو: عبدالرحمٰن بن حسن بن شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب.

❐ **ولادته:**

ولد سنة ١١٩٣هـ، في مدينة الدرعية، وهي يومئذ موطن الدعوة السلفية، ومهد علماء السُّنَّة، وعاصمة الجزيرة العربية، وعرين الليوث السعوديين من حماة الدين.

❐ **نشأته:**

قُتِلَ والده الشيخ حسن في معركة «غرابة» فكفله جده الإمام محمد بن عبدالوهاب، وتربى في حجره ولازمه حتى توفي الإمام، وله من العمر ثلاث عشرة سنة.

❐ طلبه للعلم ومشايخه:

استفاد الشيخ عبدالرحمٰن من سكنه مع جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فكان جده هو شيخه الأول، حيث نهل من علمه واستقى من معارفه، وارتفعت همته، فحفظ القرآن الكريم بعد سن التمييز، ولازم دروس جده قبل المراهقة.

فقرأ عليه التوحيد إلا قليلًا، وتدرب على الفقه، واستمع إلى دروس كبار تلاميذ جده في أمهات كتب التفسير، والحديث، والأحكام، فزاد شغفه بالعلم قبل البلوغ، ورَامَ المعالي قبل سن الرشد فصار إلى ما أراد.

ثم بعد وفاة جده شيخ الإسلام، لازم علماء الدرعية، فقرأ على عدد كبير، منهم:

عمه العلامة الشيخ عبدالله بن الإمام محمد، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر، والشيخ عبدالله بن فاضل، والشيخ أحمد بن حسن بن رشيد بن عفالق الأحسائي، والشيخ عبدالرحمٰن بن خميس، والشيخ حسين بن غنام.

وصار الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن من العلماء وهو في سن الشباب.

❐ أما مشايخه في مصر، فمنهم:

- الشيخ حسن القويسني، وقد درس عليه شرح جمع الجوامع في الأصول للمَحلّي.

ومختصر السعد في المعاني والبيان، وقد أجازه بجميع مروياته.

- وأكبر من لقي من العلماء الشيخ عبد الله بن سويدان، وأجازه.

- والشيخ عبد الرحمٰن الجبرتي، وقد أخذ عنه أحاديث بسندها إلى النبي ﷺ، وأجازه بالحديث المسلسل بالأولية، وبجميع مروياته.

- ومفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري، وقد أجازه بالأولية، وبجميع مروياته.

- والشيخ إبراهيم العبيدي المقرئ، شيخ مصر في القراءات.

- والشيخ أحمد بن سلمونة، وقد قرأ عليه كثيرًا من الشاطبية، وشرح الجزرية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

- والشيخ يوسف الصاوي.

- والشيخ الباجوري.

❐ جهاده:

لما عبر طُوسون البحر، وأنزل جنوده في سواحل البحر الأحمر، مما يلي الجزير العربية، يريد الانقضاض على الدعوة السلفية في قاعدتها والقضاء عليها في مهدها، تلقاه الإمام عبدالله بن سعود في مرساه وعاجله قبل الغزو، وكان الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن مصاحبًا للإمام في هذا المسير، فحضر الواقعة الفاصلة بين الجيشين في وادي الصفراء، والتي أنزلت بالعساكر العثمانية التركية الخسائر الفادحة، واستمر الشيخ عبدالرحمٰن مجاهدًا مع هذه الجيوش المدافعة بقلمه ولسانه وسنانه.

ولما انتهى الأمر إلى حصار الدرعية، كان مع المحاصرين المدافعين المقاتلين إلى آخر ساعة من ساعات إطلاق النار، حتى تم الصلح وكان من ضمن الذين ارتحلوا إلى مصر.

❐ رجوعه إلى نجد:

بعد أن استعاد الإمام تركي بن عبدالله آل سعود ـ جد الأسرة الحاكمة ـ السلطة في كثير من بلدان نجد، وطهَّر البلاد من الجنود الأتراك المحتلين الغزاة الغاصبين، وكان الإمام تركي يراسل المشهورين من المبعدين كالشيخ عبدالرحمٰن، ولمس الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن وهو في مصر لِيْنًا في المراقبة وسهولة في المغادرة، صمَّمَ على الخروج من مصر إلى بلاد نجد، فخرج من مصر عام ١٢٤١هـ.

فلما وصل إلى الرياض ـ التي جعلها الإمام تركي بن عبد الله مملكة بعد خراب الدرعية ـ فَرِحَ به الإمام تركي فرحًا شديدًا، وتلقاه بالإكرام والتبجيل، كما فرح بمقدمه عامةُ المسلمين.

❐ أعماله والمناصب التي شغلها:

تولى قضاء الدرعية قبل ارتحاله منها، وتولى التدريس إلى جانب عمله في القضاء.

وبعد رجوعه من مصر جعله الإمام تركي صاحب الكلمة المطلقة، والقول النافذ في حكومته.

ثم باشر الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن الأعمال التي كان يقوم بها جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وبعد استقراره في الرياض وزَّع أوقاته بين مجالسة الإمام تركي للتشاور في شؤون الدولة، ومقابلة العلماء، وتأليف الكتب، وبعث الرسائل والنصائح إلى أنحاء البلاد، ووعظ العامة وإرشادهم، وحلقات تدريس الطلاب.

واستمر على هذا الحال، وقد مدَّ الله في حياته، ونَسأ له في أجله، حتى شهد عصر ستة من أئمة حكام آل سعود.

فقد عاصر وعمل في عهد ثلاثة من الدولة السعودية الأولى وهم:

الإمام عبدالعزيز بن محمد، والإمام سعود بن عبدالعزيز، والإمام عبدالله بن سعود.

وثلاثة من الدولة السعودية الثانية وهم:

الإمام تركي بن عبدالله آل سعود، والإمام فيصل بن تركي، والإمام عبدالله بن فيصل بن تركي.

❐ مؤلفاته:

- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وهو تهذيب وإكمال لتيسير العزيز الحميد لابن عمه الشيخ سليمان بن عبدالله.
- قُرَّة عيون الموحدين.
- الرد على عثمان بن منصور.

- الرد على داود بن جرجيس.
- مختصر العقل والنقل.
- مختصر تفسير سورة الإخلاص.

ومجموعة كبيرة من الرسائل والفتاوى، وهي من الكثرة بحيث لو جُمعت لبلغت مجلدًا حافلًا.

❐ تلاميذه:

قصده الطلاب من كل حدب وصوب، وصارت الرياض في عهده معاهد علمية، وقد قرأ عليه عامة علماء نجد في زمانه، **ومن أشهرهم:**

- ولده الشيخ عبداللطيف، الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ، الشيخ عبدالرحمٰن بن حسين آل الشيخ، الشيخ حسين بن حمد آل الشيخ، الشيخ عبدالملك بن حسين آل الشيخ، الشيخ عبدالرحمٰن بن حسين آل الشيخ، الشيخ عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالجبار، الشيخ عبدالرحمٰن الثميري، الشيخ عبدالله بن جبر، الشيخ حمد بن عتيق، الشيخ عبدالعزيز الفضلي، الشيخ أحمد بن عيسى، وغير هؤلاء كثير.

❐ عقبه:

له خمسة أبناء هم:

- محمد، الذي قتل في خراب الدرعية، وليس له عَقِبْ.
- إسماعيل، وليس له عَقِب.

- الشيخ عبداللطيف، وله أبناء علماء.
- الشيخ إسحاق، وله عبدالرحمٰن من أهل العلم.
- الشيخ عبدالله، وله عبدالرحمٰن مشهور بلقب «أبو حَصاة».

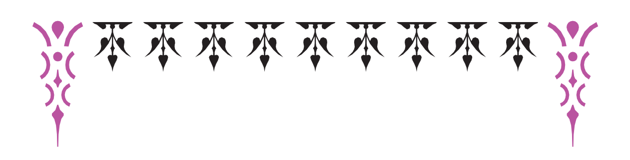
ولهم أبناءٌ وأحفادٌ علماء، رحم الله أمواتهم وبارك ونفع بأحيائهم.

❒ وفاته:

بعد عمر بلغ الثالثة والتسعين عامًا توفي الشيخ عبدالرحمٰن عشية يوم السبت ١١ ذي القعدة عام ١٢٨٥هـ، ودُفن في مقبرة العود في الرياض[(١)].



(١) بتصرف من كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون، للشيخ عبد الله البسام ١/ ١٨٠ ـ ٢٠١.



نصُّ الرِّسالة

«بسمِ الله الرحمٰنِ الرحيم، الحمدُ للهِ ربِّ العالمن[١]،

---

[١] افتتح المؤلف كتابه بالبسملة، اقتداء بالكتاب العزيز، ثم ثَنَّى بالحمد لله ربِّ العالمين.

* **معنى الحمد:**

الحمد هو: الثناء على المحمود، بصفاته الاختيارية مع حبه وإجلاله وتعظيمه.

والحمد أكمل من المدح، **فالمدح هو**: الإخبار عن الممدوح بصفاته، وقد تكون هذه الصفات جِبِلِّية جُبِلَ عليها، أو صفات لازمة له، لا بسبب الاختيار، ولا يلزم من ذلك المحبة، **بخلاف الحمد، فهو**: الإخبار والثناء على المحمود بصفاته الاختيارية، مع حبه وإجلاله وتعظيمه، فمثلًا إن أخبرت عن الأسد أنه قوي، وأنه مفتول الساعدين، وأنه ملك الحيوانات، هذا مدح؛ لأنك أثبتَّ له صفاته التي جُبِل عليها، وليس له فيها اختيار، ولا يُسمى هذا حمدًا، وكذلك إذا أخبرت عن فلان أنه طويل، وأنه أبيض اللّون، فهذا الصفات ليست باختياره، لكن إذا أخبرت عن صفاته بأنه كريم، وجواد، وشجاع، وأنه يحب الخير، فهذه صفات اختيارية، فهذا يُسمى حمدًا.

ولهذا؛ فإنَّ الحمدَ أكملُ من المدح، وقد ورد في وصف الربِّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢].

....

و(الـ) في الحمد للاستغراق لجميع أنواع المحامد، فكلها لله، ملكًا واستحقاقًا، والله هو المألُوه، الذي تَأْلَهُهُ القلوب محبةً، وخوفًا، ورجاءً، وتوكُلًا، وإنابةً، وخشوعًا، وخضوعًا، وغير ذلك من أنواع التعبّد لله تعالى؛ أي: خالقهم ومُوجدهم ومُسدي النِّعم إليهم.

(العالمين): جَمعُ عَالَم، وهو كل ما سِوَى الله من السمٰوات، والأَرَضين، والجنّ، والإِنس، والبحار، والأشجار، كل هذا يُسمّى عَالَم، وأنا وأنت من هذا العالم.



وصلى الله عَلى مُحمَّدٍ النبيِّ الصادقِ الأَمين، وعلى آله، وصَحبه، وسَلّم تسليمًا»[١].

* **معنى الصلاة على النبي ﷺ:**

[١] **قوله: (وصلى الله على محمد)**، هذا دعاء وسؤال لله بأن يُصلي على نبيِّه، **وصلاة الله على نبيِّه؛ اصحُّ ما قيلَ فيها**: هو ثناؤُه عليه في الملأ الأعلى، فأنت تدعو ربَّكَ وتسأله أن يُثني على عبده محمد في الملأ الأعلى؛ أي: اللَّهُمَّ اثنِ على عبدك محمد في الملأ الأعلى.

ومحمد اسم نبينا ﷺ، ومعناه: كثيرُ المحامد، كثير الخصال التي يُحْمَد عليها، وألهم اللهُ أهله أن يُسمّوه محمدًا.

وله أسماء كثيرة، منها: محمد، وأحمد، والماحي؛ الذي يمحو الله به الكفر، والحاشر؛ الذي يحشر الناس على قدمه، والعاقب، الذي لا يَعقبه نبي، وهذا يدل على كمال خصاله، وصفاته العظيمة.

كما أن الله سبحانه له أسماء كثيرة، حتى قيل: إن لله ألف اسم.

والقرآن له أسماء كثيرة، منها: القرآن، والشفاء، والهدى، والبيان، والفاتحة لها أسماء كثيرة، منها: الكافية، والشافية، والفاتحة، وأم القرآن، والحمد.

والأسد له أسماء كثيرة، حتى قيل: له ألف اسم: الأسد والضرغام، والضيغم.

والسيف له أسماء، مثل: الحسام والمهند، وغير ذلك.

....

* **تعريف النَّبي الصادق الأمين:**

(النَّبي): الذي نبّأه الله، مشتق من النبأ، وهو: الخبر؛ لأن الله نبّأه وأخبره، أو من النبوة وهو الارتفاع؛ لرفعته وعلوِّ شأنه عليه الصلاة والسلام.

(الصادق): الذي وَصفُه الصدق لا يكذب.

(الأمين): المؤتمن على الوحي الذي يبلغه عن الله تعالى.

* **تعريف الـ «آل»:**

(على آله): قيل: المراد بآله أزواجه وذريته المؤمنون، **وقيل**: أتباعه على دينه إلى يوم القيامة(١)، **وهذا هو الأرجح**. ويدخل دخولًا أوليًّا أزواجه وذريته.

* **تعريف الصحب:**

(وصحبه): جمع: صاحب وصحابي، وهو: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك(٢).

ويدخل في ذلك: الذين شاهدوا النبي ﷺ ولو كانوا أطفالًا. وكذلك الذين حنَّكهم النبي ﷺ وهم صغار، ومنهم: محمود بن الربيع يقول: عَقلتُ من النبي ﷺ مَجَّةً مجَّها في وجهي وأنا ابنُ خمسِ سنينَ من دلو(٣).

---

(١) حكاه ابن عبدالبر عن بعض أهل العلم «التمهيد» ١٧/٣٠٣).

(٢) انظر: نزهة النظر ص٦٣، ٦٤؛ تدريب الراوي (٢/٢٠٨).

(٣) البخاري (٧٧) واللفظ له؛ ومسلم (١٤٤٨)؛ ومحمود بن الربيع هو: محمود بن الربيع بن سراقة بن عمرو أبو محمد، ويقال: أبو نعيم الأنصاري الخزرجي المدني. وأمه هي: جميلة بنت أبي صعصعة الأنصارية. حدث عنه أنس بن مالك، ورجاء بن حَيْوة، ومكحول وغيرهم. مات سنة تسع وتسعين، وله ثلاث وتسعون سنة. (سير أعلام النبلاء ٣/٥١٩).

فهو صحابي صغير، وكذلك من لقيه ولم يره؛ كعبدالله ابن أم مكتوم، فهو صحابي، كفيف البصر[(١)].

(وسلم): دعاءٌ بالسلامة.

(تسليمًا): مصدر مؤكد.

وهذا مما استدل به الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بعض رسائله في كون النبي ﷺ لا يُعبد؛ لأنه يُدَعى له بالسلامة، ومن يُدعَى له بالسلامة لا يستحق العبادة، فهو بحاجة إلى السلامة، فلا يكون إلٰهًا، ولا يصرف له شيء من العبادة، بل العبادة محض حق لله تعالى.



(١) عبدالله بن قيس بن زيادة بن الأصم، وأمه عاتكة وهي: أم مكنوم بنت عبد الله بن عتيكة بن عامر، أسلم ابن أم مكتوم بمكة قديمًا، وكان ضرير البصر، ذهبت عيناه وهو غلام، وقدم المدينة مهاجرًا، كان يؤذن للنبي ﷺ بالمدينة مع بلال، وكان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة. مات سنة ٢٥هـ. المنتظم (٣٤٨/٤).

أمَّا بعدُ[١]: فَقد وَردتْ عَلينا أسئلةٌ من عُمان، صَدرت مِن جَهْميٍ ضَالٍ[٢]

---

[١] **قوله**: (أما بعد) كلمة يؤتى بها للانتقال من شيء إلى شيء(١).

[٢] * **تعريف الجهمية**:

قوله: (من جهمي...) نسبة إلى جَهْم بن صفوان أبو محرز الراسبي أس الضلالة ورأس الجهمية، الذي نفى الأسماء والصفات عن الله، وسبقه شيخُه الجَعد بن درهم، وهو أول من ابتدع عقيدة نفي الأسماء والصفات، والجعد بن درهم أنكر صفتين: «صفةَ الكلام»، و«صفةَ الخُلة»، وأخذ عنه الجهم بن صفوان بن المعطل السلمي عقيدة نفي أسماء الله وصفاته، وتوسع الجهم في نفي الأسماء والصفات، وأظهر ذلك فَنُسب المذهب إليه.

والجهم هذا ناظرت طائفة السمنية(٢).

* **تعريف طائفة السمنية**:

طائفة بالهند، لا يؤمنون إلا بالمحسوسات، وهي ما يُدرك بالحواس الخمس، فناظروا الجهم، وقالوا له: نكلمك، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: ألست تزعم أن لك إلٰهًا؟ قال الجهم: نعم. فقالوا له: فهل رأيت عين إلٰهك؟ قال: لا. قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا. قالوا: أشممت له رائحة؟

---

(١) انظر: تهذيب الأسماء (٣/ ٢٧).

(٢) السمنية فرقة من أصحاب التناسخ، قالوا بقدم العالم، وبإبطال النظر والاستدلال، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت. (الفرق بين الفرق ص٢٧٠؛ التبصير في الدين ص١٤٩).

قال: لا. قالوا: فوجدت له مجسًا؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له حسًّا؟ قال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إلٰه؟ قال: فتحير الجهم، فلم يدر من يعبد أربعين يومًا، ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى ـ فهم يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله. فإذا أراد أن يحدث أمرًا دخل في بعض خلقه، فتكلم على لسان خلقه، فيأمر بما شاء، وينهى عما شاء. وهو روح غائب عن الأبصار ـ فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسمني: ألست تزعمُ أن فيك روحًا؟ قال: نعم. فقال: فهل رأيت روحك؟ قال: لا. قال: فسمعت كلامه؟ قال: لا. قال: فوجدت له حسًّا ومجسًّا؟ قال: لا. قال: فكذلك الله، لا يُرى له وجه، ولا يُسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان»[1].

وقد أنكر الجهم جميع الأسماء والصفات، ولهذا كفَّر الجهميةَ خمسُمائة عالم، قال ابن القيم:

وَلَقد تَقَلَّدَ كُفرُهُم خمسونَ   في عَشرٍ من العُلماءِ في البُلدانِ
واللَّالَكَائِي قد حكاهُ عَنْهُمُ   بل قد حكاه قبلَهُ الطَّبَرَانِي[2]

* **الجهم عُرف بأربع عقائد خبيثة:**

والجهم بن صفوان: اشتهر بأربع عقائد خبيثة:

الأولى: نفي أسماء الله وصفاته وجحدها وَوَرِثَها عنه المعتزلة.

الثانية: الجَبْر وهو: القول أن الإنسان مَجْبُور على أفعاله، وأنه كالريشة في الهواء، والفاعل هو الله، فالله هو المصلي وهو الصائم،

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٦ ـ ٢٨).

(٢) الكافية الشافية (٦٣٣، ٦٣٤).

....

ورثها عنه الجبرية كالأشاعرة وأمثالهم.

الثالثة: الإرْجَاء والقول بأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، وإنما يكفي التصديق بالقلب وتلقاها عنه المرجئة.

الرابعة: القول بفناء الجنة والنار.

*** الحكم على الجهمية:**

والجهمية كفار؛ لأنهم أنكروا الأسماء والصفات، ومن أنكر الأسماء والصفات فقد أنكر وجود الله؛ لأنه لا وجود للذات بدون الأسماء والصفات.

وقال كثير من السلف: إن قول الجهمية يدور على أنه ليس فوق العرش إله.

وقال عبد الله بن المبارك: إنا لنحكي أقوال اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي أقوال الجهمية[1]؛ لخبثها وشرها.



(١) السُّنَّة لعبد الله ابن الإمام أحمد (ص٤١).

يَستعجِزُ بهَاا بعضَ المُسلمين[١]؛ فَينبغِي أنْ نُجيبَ عَنْها، بمَا يُفيدُ طالبَ العلم، وما لا فائدةَ فيه، لا يُحتاجُ إلى الاشتغَال بالجوابِ عنه.

فَمِمّا يَنبغي أن نُجيبَ عنه، قولُه: «إنَّ الاسمَ مشتقٌ منَ السُّمو، أو السّمة»[٢].

واشتقاقُ الاسمِ منْ هَذين، ذكرَه العُلماءُ في كُتبهم، لكن يَتعيَّنُ أن نسأَله عن كيفيةِ هذا الاشتقاق؟ وما مَعنى الاشتقاق الذي يذكُره العُلماء؟ فنطلبُ منه الجوابَ عن هَذَيْنِ الأَمرين؟ وإنْ كَانا مَذْكُورَين في كُتب النُّحاة، وغَيرهم؛ وقد ذكرتُه في «فتح المجيد، لشرح كتاب التوحيد»[(١)].

---

[١] **قوله**: (يستعجز بها بعض المسلمين)؛ أي: يريد إفحام البعض بما يلقيه من شبه بزعمه لغرض التعجيز والتشكيك.

ثم قال: (فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم، وما لا فائدة فيه، لا يحتاج إلى الاشتغال بالجواب عنه)؛ يعني: نُجيب بما فيه فائدة، وما لا فائدة فيه تركه أولى لضعفه وتهافته. **ثم قال**: (فمما ينبغي أن نجيب عنه).

[٢] **قوله**: (إنّ الاسم مشتق من السمّو أو السّمة)؛ اللهُ تعالى له أسماء وصفات.

❊ **الاسم واشتقاقه**:

الجهمي يقول: الاسم مشتق من السُّمو، السُّمو؛ أي: الرِّفعة، أو من السِّمة: وهي العلامة، لماذا سمي محمد بهذا الاسم؛ لأنه

---

(١) انظر: فتح المجيد (١/ ٧١).

علامة على الذات، على ذات محمد، أو من السمو وهو العلو والرفعة، وهاتان ذكرهما المؤلف، ولهذا **قال المؤلف**: **(واشتقاق هذين ذكرهما العلماء في كتبهم، لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق؟ وما معنى الاشتقاق الذي ذكره العلماء؟ فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين، وإن كانا مذكورين في كتب النحاة وغيرهم، وقد ذكرته في فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد)**.

يعني القول بأن الاسم مشتق من السمو أو السمة لا إشكال فيه، لكن ما معنى الاشتقاق؟ هل معنى أن الله سبحانه اشتُقّ له اسم؟ أي: هل العباد اشتقوا له اسمًا واخترعوه من عند أنفسهم؟ هذا باطل.

المراد بالاشتقاق هنا: أن الفعل يلتقي مع المصدر، مثلًا: العليّ هل هو مشتق؟ نقول: نعم، هو مشتق؛ لأنه يلتقي معه، وليس المراد بالاشتقاق ما يظنه بعض الناس من أن الناس اخترعوا لله هذا الاسم واشتقوا له اسمًا من عند أنفسهم، فكذلك كون الاسم مشتق من السمو أو السمة.

فالمراد بالاشتقاق الالتقاء؛ أي: الكلمة تلتقي بهذه الكلمة توافقها، الاسم يوافق السمو، وليس بالمراد بكونه مشتقًا منه؛ أنه حادث بعد أن لم يكن، فلا يعني أن الله ليس له اسم حتى جاء الناس واشتقوا له اسمًا من أنفسهم، فالإنسان لا يخترع لله اسمًا من عند نفسه، ولا يخترع له صفات؛ وما سمى به نفسه نسميه به، وليس المراد أن الناس هم الذين اخترعوا له اسمًا كالمخلوق، فالمخلوق ليس له اسم، وإذا ولد فهو يُسمَّى، فاسمه حادث بعد ولادته.



وأمَّا سؤاله عن: «الفَرق بين القَضاءِ والقَدر؟».

فالقدرُ أصلٌ منْ أُصول الإيمَان، كما في سُؤال جبريل، وما أجَابه به رسولُ الله ﷺ حينَ يسألَه قال: «الإيمانُ أن تُؤمنَ باللهِ، ومَلائكته، وكُتبه، ورسُله، واليَوم الآخِر، وتُؤمنَ بالقَدرِ خَيرهِ وشَره»[١]، وفي الحديث الصَّحيح: «إنَّ أولَ ما خلقَ اللهُ القلمَ، فقالَ له: اكتُب، فجَرى بمَا هُو كائنٌ إلى يومِ القيامة»[٢].

أي: جَرى بما يكونُ ممَّا يَعلمُ اللهُ تعالى، فإنه تَعالى يَعلمُ ما كانَ وما يكُونُ، ومَا لَمْ يكُن، لو كانَ كيف يكُون: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وأمَّا القضاءُ: فَيُطلقُ في القُرآنِ، ويُرادُ به إيجَادُ المُقدَّر؛ كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [سبأ: ١٤].

ويطلقُ، ويرادُ به: الإخبارُ بما سيَقعُ ممَّا قُدّر؛ كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤]. أَخبرَهُم في كتابِهم، أنَّهُم يُفسِدونَ في الأرضِ مَرَّتين، ويُرادُ بهِ الأمر، والوصيّة، كما قالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ أي: أمرَ، ووصَّى.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٣٢٥)؛ وأبو داود (٤٦٩٢)؛ و الترمذي (٣٣١٩)، وقال: حديث حسن غريب.

ويطلقُ، ويرادُ بهِ: الحكم؛ كقوله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٧٥].

ويطلقُ، ويرادُ به القدر، ونحوِ ذلك[١].

---

[١] هذا هو جواب المصنف عن السؤال الثاني للجهمي الضال وهو عن الفرق بين القضاء والقدر، ما الفرق بينهما؟ هل هما شيء واحد؟ أم لا.

* **(الفرق بين القضاء والقدر):**

والجواب: أن هناك فرق بين الكلمتين، وإن كان إذا أطلق أحدهما يدخل فيه الآخر. فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وأصل من أصول الدين، لا يصح الإيمان إلا به، فالإيمان بالقدر فرض، ومن لم يؤمن بالقدر فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فالقضاء له معان أحيانًا يوافق القدر وأحيانًا يخالفه، إذا اجتمعا فكل واحد له معنى.

قوله: **(وأما القضاء: فيطلق في القرآن، ويراد به إيجاد المقدَّر)**، كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]؛ أي: أوجدهم على وفق ما قدره، وصار القدر هو: أن تؤمن بعلم الله، وكتابته، وقدرته، وخلقه، وإيجاده، أما القضاء فيطلق **(ويراد به إيجاد المقدر)**؛ أي: قدر الله وجود هذا الشيء، فإيجاد المقدَّر يسمّى قضاء، فالقدر يراد به المراتب الأربعة، أما القضاء فأحيانًا يطلق ويراد به إيجاد المقدر كما ذكرنا؛ أي: أوجد هذه السمٰوات على وفق ما قدره، ومثله قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١٤]؛ أي: أوجد الموت، الذي قدره على سليمان عليه السلام، وهو نبي ومَلِك آتاه الله المُلك والنبوة، وسخر له

الطير، والجن؛ فالجن يعملون له ليل نهار، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣]. ومن يتخلف منهم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]. وكان يتعبد وهو متكئ على عصاه، فمات على عصاه، ولم يعلموا به، والجن يعملون بدون توقف، خائفين من سليمان عليه السلام، وسليمان ميت، فلما أكلت الأرضُ العصا سقط فتبين لهم أنه ميت، ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ الآية [سبأ: ١٤]، وهذا يدل على أن الجن لا يعلمون الغيب، وفيه ردٌّ على الإنس الذين يعظِّمُون الجن.

(ويطلقُ) القضاء: **(ويراد به: الإخبار بما سيقع مما قَدَّره؛ كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤])**؛ أي: أخبرهم الله أنه سيقع الإفساد في الأرض مرتين، في كل مرة يحصل إفساد سيسلط الله عليهم من يسوءهم سوء العذاب.

(أخبرهم في كتابهم، أنهم يفسدون في الأرض مرتين)، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٦]؛ أي: لما تابوا نصرهم الله عليهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الإسراء: ١٠٤]؛ أي: المرة الثانية: ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

(ويطلقُ) القضاء: **(ويراد به الأمر، والوصية، كما قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ أي: أمرَ ووصَّى)** أمرًا دينيًا شرعيًا، فقد ينفّذ وقد لا ينفّذ، بعض الناس نفّذ الوصية والأمر، فعبَدَ الله، والكفار الفساق لم ينفِّذوا الأمر والوصية ولم يعبدوا الله.

(ويطلق) القضاء: **(ويراد به الحكم)**، ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٧٥]؛ أي:

حكم بينهم بالحق.

(ويطلق) القضاء: **(ويراد به القدر)**، فيكونان مترادفين.

فالقدر أحد أركان الإيمان الستة، كما في سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، حين سأله عن الإيمان، فأجابه ﷺ فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره، وشره**».

وهذه أصول الإيمان الستة، التي نزلت بها الكتب، وأُرسلت بها الرسل، وأجمع عليها المسلمون، ومن جحدَ أو أنكر واحدة منها خرج عن دائرة الإسلام، وكان من الكافرين، ولهذا لمَّا ظهر ناس في عهد الصحابة بالبصرة، أن الله لم يُقدِّر الأشياء، ولا يعلم بها حتى تقع، أنكر عليهم ذلك بعضُ علماء التابعين، وسألوا بعض الصحابة عنهم، وهذا جاء في حديث يحيى بن يَعْمُر وحُميد بن عبدالرحمٰن الحِمْيَري، قال: كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله، فسألناه عمّا يقول هؤلاء في القدر، فوُفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله؛ فظننت أن صاحبي سَيكِلُ الكلام إليَّ. فقلت: يا أبا عبدالرحمٰن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفَّرُون العلم ـ وذكر من شأنهم ـ أنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أُنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم بُرآءُ مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهبًا، فأنفقه في سبيل الله، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر[١].

(١) مسلم (٥٩).

ثم روى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث جبريل الطويل، عن أبيه عمر في سؤالات جبريل للنبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة وأمارتها.

والذي لا يُقبل أعماله هو الكافر، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٤]، وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥]؛ دلَّت الآيتان على: أن المكذب بالقدر كافر، ولذا قال المصنف: «**القدر أصلٌ من أصول الإيمان، كما في سؤال جبريل**».

* مراتب القدر:

والقدر له أربعة مراتب، لا بد من الإيمان بها كلها، مَن أنكر واحدة منها فهو كافر:

أولها: العلم:

عِلْمُ الله الشامل لجميع الأشياء، وهو: أن تؤمن أن الله عَلِمَ الأشياء في الأزل، علمَ ما كان في الماضي، فهو الأول الذي لا بداية لأوليته، ويعلم ما يكون في المستقبل، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، قال الله تعالى عن الكفار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال الله تعالى عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٦، ٤٧].

فالله هو الأول الذي لا بداية لأوليته، وهو الآخر الذي لا

....

نهاية لآخريته، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]؛ ففسر النبي ﷺ هذه الأسماء الأربعة في الحديث الصحيح بقوله: «**اللَّهُمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[١].

الثانية: الكتابة:

الإيمان بكتابة الله للأشياء في اللوح المحفوظ، فالله كتب كل شيء: الذوات، والصفات، والأفعال، والحركات، والسكون، والعجز، والكَيس، والسعادة، والشقاوة، والعز، والذل، والفقر، والغنى.

والدليل على هاتين المرتبتين وهما: العلم والكتابة:

١ ـ قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، الكتاب هو اللوح المحفوظ.

٢ ـ وقول الله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ الآية من سورة الأنعام [٥٩].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وهو اللوح المحفوظ.

٤ ـ قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وهو اللوح المحفوظ.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]؛ أي: يمحو ما عند الحفظة، ليوافق ما في اللوح

(١) مسلم (٦٨٣٩) من حديث أبي هريرة.

....

المحفوظ.

٦ - وكما جاء في صحيح السابق: «**إنَّ أولَ مَا خلقَ اللهُ...**» الحديث[١].

الثالثة: المشيئة والإرادة الكونية:

وهي: أن تؤمن بأن الله أراد وشاء كل شيء وقع في الوجود، من خير أو شر، طاعات ومعاص، كفر وإيمان، ولم كان يقع في ملك الله ما لا يريده لكان عاجزًا، لكن الإيمان والطاعة أراد الله وقوعها لذاتها، أما الكفر والمعاصي فالله لا يريدها لذاتها، **وإنما لما يترتب عليها من الحِكَم:**

ولو لا وقوع المعاصي والكفر لما كان هناك شقي ولا سعيد.

ولولا ذلك لما ظهرت قدرة الله على وجود المتضادات؛ فالمسلم يقابله الكافر.

ولو لا خَلْقُ الله للكفر والمعاصي لما ظهرت عبوديات متنوعة؛ كعبودية الجهاد في سبيل الله التي هي من أفضل القربات، ولو كان كل الناس مؤمنين فلا يوجد جهاد، ولا عبودية الولاء والبراء، ولا عبودية الدعوة إلى الله، ولا عبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا عبودية الحب في الله والبغض في الله، فلو كان الناس مؤمنين مطيعين فلا مكان لتلك العبوديات، ومثال ذلك ولله المثل الأعلى:

المريض حينما يذهب إلى الطبيب، فيصف الطبيب له دواء مرًّا، فيشربه المريض كسبب للشفاء، فهل هذا الدواء يراد لذاته، أو لما يترتب عليه من الشفاء؟

(١) سبق تخريجه.

فهذا الدواء المر مقصود، ولكن ليس لذاته، بخلاف العسل والحلوى فهي مقصودة لذاتها؛ لأنها لذيذة ومفيدة. فافهم حكمة الله.

وهذا فيه ردٌّ على بعض الطوائف؛ كالمعتزلة (القدرية)[١] الذين أنكروا أن الله خلق المعاصي، وقالوا كيف يخلق الكفر والمعاصي ويعذب عليها؟ فيكون ظالمًا.

وقالوا: العبد هو الذي خلق الكفر والمعاصي.

فترتب على قولهم مفسدة أكبر من المفسدة التي فروا منها، وهي: أنه يقع في مُلك الله ما لا يريد، وأيضًا يلزم على قولهم أن مشيئة العبد تغلب مشيئة الرب، فهما مفسدتان؛ فالله يريد من العبد الطاعة، والعبد أراد المعصية، فوقعت مشيئة العبد وفعل المعصية.

والقدرية محجوجون من قبل خصومهم حتى الكفرة. قال عمرو بن الهيثم: خرجنا في سفينة وصحبنا فيها قدريٌّ ومجوسيٌّ، فقال القدري للمجوسي: أسلم. قال المجوسي: حتى يريد الله. فقال القدري: إن الله يريد ولكن الشيطان لا يريد. قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان فكان ما أراد الشيطان، هذا شيطان قوي، وفي رواية أنه قال: فأنا مع أقواهما[٢]؛ فكان المجوسي مع الشيطان، فحج المجوسي القدري، فإرادة الشيطان الكفر، وإرادة الله الإيمان، فصار مع الشيطان، فغلبت مشيئة الشيطان مشيئة الله وبُهت القدري، فغلبه خصمه المجوسي، وهذا يدل على فساد مذهب القدرية.

والحق الذي دلت عليه النصوص وعليه أهل السُّنَّة والجماعة: أن الله هو الذي خلق المعصية وقدَّرها لحكمة، والعبد فعلها باختياره

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٤٣)؛ ومجموع الفتاوى (٨/ ٤٣٠ _ ٤٥٠).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٧٨).

ومشيئته.

الرابعة: الخلق والإيجاد:

وهو أن تعتقد أن كل ما في الكون خلقه الله وأوجده بقدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وهذه المراتب الأربع مجموعة في قول الناظم:

علمٌ كتابةُ مولانَا مشيئتُه خَلْقه وهو إيجادٌ وتقديرُ

*** والقدرية النفاة طائفتان:**

الطائفة الأولى:

طائفة أنكرت العلم والكتابة، وهم الذين ظهروا في أواخر عهد الصحابة، فكفَّرهم الصحابة؛ كابن عمر رضي الله عنهما وغيره، وهم الذين قال فيهم الشافعي رحمه الله: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقَرُّوا به خُصِمُوا، وإن أنكروا كفروا»[(١)].

الطائفة الثانية:

أثبتوا العلم والكتابة، ولكن أنكروا عموم المشيئة وعموم الخلق، **قالوا**: إن الله أراد كل شيء إلا أفعال العباد، أرادوها وحدهم.

وقالوا: إن الله خلق كل شيء إلا أفعال العباد فما خلقها؛ فالعبد هو الذي خلق الطاعة والمعصية، وهؤلاء قالوا ذلك لشبهة حصلت لهم، وهي: أن الله لو أراد المعاصي وخلقها وعذَّب عليها لكان ظالمًا، فلذلك كانوا مبتدعة، بخلاف الطائفة الأولى فإنهم كفرة، حيث أنكروا العلم والكتاب.

(١) انظر: في مجموع الفتاوى (٢٣/٣٤٩) إلى مالك، والشافعي، وأحمد.

....

وقد تقدم ذكر الحديث: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة**»؛ أي: جرى بما يكون مما يعلم الله تعالى، فإنه تعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]؛ أي: كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، هذا هو القدر.



وأمَّا: ما تَزْعُمه منْ أنَّ الأدلةَ الدَّالة على استوائهِ سبحانه على عرشِه، لا تَمنع أن يكونَ مُستويًا على غيره.

فالجوابُ أن نقولَ: قَد أجمعَ أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ، قَديمًا وحديثًا، على أنه لا يجوزُ أن يُوصفَ الله بما لَمْ يَصِفْ به نفسَه، ولَا وصفَه به رسولُه ﷺ، ومن وصفَه بغير مَا وصفَ به نفسَه، أو وصفَه به رسولُه ﷺ، فهو جهميٌّ، ضالٌّ مُضلٌ، يقولُ على الله بِلَا عِلم؛ وقد ذكرَ سبحانه استواءَه على عرشِه، في سبعةِ مواضعَ من كتابهِ، في سُورة: «الأعراف»، وفي سورة: «يُونس»، وفي سورة: «الرَّعد»، وفي سورة: «طه»، وفي سورة: «الفُرقان»، وفي سُورة: «السجدة»، وفي سورة: «الحديد»، ولم يذكر تَعالى أنه استَوى على غيرِ العرش، ولا ذكرَه رسولُه ﷺ، فَعُلِمَ أنه ليسَ من صفاتِه التي يجوزُ أن يُوصفَ بها؛ فمنْ أدخلَ في صفاتِ اللهِ، ما لَم يُذكر في كتابِ الله، ولا في سُنَّةِ رسُولِهِ ﷺ، فهو جَهميٌّ، يقولُ عَلى اللهِ ما لَا يَعلم.

وقَد قَال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ١٤]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، عُلوُّ القَدْر، وعُلوُّ القَهْر، وعُلوُّ الذَّات؛ لا يَجوزُ أن يُوصف إلَّا بذلكَ كلّه، لكمالِه تعالى في أوصَافهِ، فلهُ الكمالُ المطلقُ، في كلِّ صفةٍ وصفَ بها نفسَه،

ووصفَه بها رسولُه ﷺ[١].

---

[١] * **مسألة الاستواء:**

وهذا هو جواب المصنف على السؤال الثالث للجهمي الضال، في مسألة الاستواء، بالصيغة التي أوردها الجهمي على المؤلف، وهو: أن الجهمي يَزعُم أن الاستواء ليس خاصًّا بالعرش، وأن الأدلة وإنْ جاءت بأن الله استوى على العرش، فإنها لا تمنع بالاستواء على غير العرش، يقول: استوى على العرش، واستوى على الأرض، واستوى على الدابة، واستوى على الماء؛ **فالمؤلف يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا باطل؛ لأن الأسماء والصفات توقيفية، والله سبحانه خَصَّ الاستواء على العرش في سبعة مواضع في كتابه، ولا يجوز أن يقال: إنه استوى على الدابة، واستوى على الأرض، واستوى على الماء، واستوى على السماء؛ لأن الأسماء والصفات توقيفية، والعرش أعظم المخلوقات، وهو استواءٌ يَليق بجلال الله وعظمته.

* **معاني الاستواء في اللغة:**

والاستواء في اللغة له أربعة معاني: استقر، وعلا، وارتفع، وصَعِد، وعليها تدور تفاسير السلف في الاستواء، والله لا يُماثل المخلوق في استوائه. وهذا الجهمي يقول: صحيح أن الاستواء جاءت به الأدلة، لكن لا مانع من الاستواء على غير العرش.

قال المؤلف في رده عليه: (وأما ما تزعمه) أيها الجهمي **(من أن الأدلة، الدالة على استوائه سبحانه على عرشه، لا تمنع أن يكون مستويًا على غيره).**

فالجواب، أن نقول: (قد أجمع أهل السُّنَّة، والجماعة، قديمًا وحديثًا، على أنه لا يجوز أن يوصف الله بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله ﷺ). فالله تعالى وصف نفسه بأنه استوى على

....

العرش، ولم يصف نفسه بأنه استوى على الأرض، أو الماء، أو الدابة.

قال: **(ومن وصفه بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، فهو جهمي، ضال مضل، يقول على الله بلا علم)**؛ فكونك تقول: الله استوى على السماء والأرض هذا ضلال، وهو مذهب جهم.

قال المؤلف: **(وقد ذكر سبحانه اسواءه على عرشه، في سبعة مواضع من كتابه، في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة الرعد، وفي سورة طه، وفي سورة الفرقان، وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد)**.

ثم قال المؤلف: **(ولم يذكر تعالى: أنه استوى على غير العرش، ولا ذكره رسوله ﷺ، فعُلم أنه ليس من صفاته، التي يجوز أن يُوصف بها؛ فمن أدخل في صفات الله، ما لم يذكر في كتاب الله، ولا في سُنَّة رسوله ﷺ، فهو جهمي، يقول على الله ما لا يعلم.**

وقد قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]) والعروج إنما يكون من أسفل إلى أعلى، فدل على أن الله في العلو، وهذا الجهمي حينما يقول: إن الله استوى على الدابة، والماء، والأرض، يُنكر أن يكون الله استوى على العرش لأنه ينكر العلو، ويقول: الله في كل مكان، والمؤلف يريدُ أن يذكر الأدلة التي تُثبت أن الله في العلو؛ كقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، إذا جاءت (مِنْ) ففيه تنصيص على الفوقية، وقال تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، والرفع يكون من أسفل إلى أعلى، وقال تعالى: ﴿بَل

....

﴿رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. **قال المؤلف: (علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات)**؛ يعني: العلو ثلاثة أنواع.

❊ أنواع العلو:

ـ **علو القدر**؛ أي: قدر الله وشأنه عظيم.

ـ **وعلو القهر**؛ أي: علو القهر والسلطان والعظمة.

ـ **وعلو الذات**؛ أي: ذاته فوق العرش.

وقد وافق أهل البدع على نوعين من العلو: علو القهر والقدر، وأنكروا علو الذات، وقالوا: إنه في كل مكان، فكفروا بذلك، ولا بد من إثبات الأنواع الثلاثة كلها، كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

والفَوقُ أنواعٌ ثَلاث كلُّها ... للَّهِ ثابتةٌ بِلَا نُكْرَانِ[1]

قال المؤلف: (لا يجوز أن يوصف إلا بذلك كله، لكماله تعالى في أوصافه، فله الكمال المطلق، في كل صفة وصف بها نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ).



(١) الكافية الشافية رقم (١١٥٧).

وقالَ تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]. فذكرَ العرشَ عندَ هذه الصِّفة، منْ أدلَّة فَوقيته تعالى، كَما هو صريحٌ فيمَا تقدَّم منَ الآيات، وكقولهِ تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الآية [الشورى: ٥].

وذكرَ النبيُّ ﷺ في مَعنى قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الآية [الحديد: ٣]، «اللَّهُمَّ أنتَ الأولُ فليسَ قبلكَ شيءٌ، وأنتَ الآخرُ فليسَ بعدكَ شيءٌ، وأنتَ الظَّاهرُ فليسَ فوقكَ شيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليسَ دُونكَ شيءٌ»[(١)].

فقوله: «فليسَ فوقكَ شيءٌ»، نصٌّ في أنَّه تَعالى فوقَ جَميعِ المخلُوقات؛ وهوَ الذِي وردَ عن الصَّحابةِ، والتابعينَ، مِنَ المُفسِّرين، وغَيرهم، في معنى قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

إن معنى استَوى: استقرَّ، وارتفعَ، وعلَا، وكلُّها بمعنًى واحد، لا يُنكِرُ هذا، إلا جَهميٌّ زنديقٌ، يَحكمُ عَلى اللهِ، وعلى أسمائِه وصفَاتِه بالتَّعطيل، قاتَلهُم الله أنَّى يُؤْفَكُون؛ والنصوصُ الدالةُ على إثباتِ الصفاتِ كثيرةٌ جدًّا[١].

[١] ومن أدلة علو الله على خلقه قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]؛ فذكر العرش عند هذه الصفة، أو بعد هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالى، فقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ بعد ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾، دالة على العلو، وأن الله أعلى العلو وهو ما فوق

(١) مسلم (٦٨٣٩).

العرش، والعرش سقف المخلوقات ونهايتها، والله فوق العرش مستوٍ عليه استواء يليق بجلاله وعظمته، والله لا يحتاج للعرش ولا لغيره، بل هو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته، ولكننا لا نعلم كيفيته، ونعلم كيفية استواء المخلوق، فالإنسان يجلس على الدابة مثلًا، يحتاج للدابة، فإن سقطت الدابة سقط الإنسان، أو السطح المستقر عليه لو خرَّ السطح خرَّ الإنسان، **والمشبهة يقولون**: استواء الله على العرش كاستواء المخلوق على الدابة، فهو محتاج إليه، فقياس قولهم: كما أن الإنسان إذا استوى على الدابة وسقطت الدابة سقط هو، فكذلك لو سقط العرش سقط الرب، **وهؤلاء المشبهة كفرة**، نحن لا نعرف الكيفية للصفة، ولكن نعرف المعنى، كما قال الإمام مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[1].

فكما لا يَعلم كيفيته إلا هو سبحانه، فلا يعلم كيفية ذات الله إلا الله، فكذلك لا نعلم كيفية علمه، ولا كيفية استوائه، ولا كيفية قدرته، ولا كيفية رضاه، ولا كيفية غضبه، لكن نعلم المعنى، نعلم أن القدرة ضد العجز، والعلم ضد الجهل، والاستواء معناه: العلو، والارتفاع، والاستقرار والصعود، وكقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [الشورى: ٥]، لم يقل: من تحتهن، والملائكة يسبحون.

وذكر النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ الآية [الحديد: ٣]. فذكر النبي ﷺ تفسير هذه الأسماء في حديث الاستفتاح الصحيح: «**اللَّهُمَّ أنت الأولُ فليسَ قبلكَ شيءٌ،**

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٧).

....

وأنتَ الآخر فليسَ بعدك شيءٌ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء».

فهذا (**نصٌ في أنه تعالى فوق جميع المخلوقات؛ وهو الذي ورد عن الصحابة، والتابعين، من المفسرين، وغيرهم، في معنى قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾** [طه: ٥]؛ **أن معنى استوى: استقر، وارتفع، وعلا وصعد، وكلها بمعنى واحد، لا يُنكر هذا، إلا جهمي زنديق**).

*** معنى الزنديق:**

الزنديق كلمة فارسية **تطلق على**: المنافق، قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: المنافق في عهد رسول الله ﷺ هو الزنديق اليوم[(١)].

وتطلق على: الجاحد المعطل؛ الذي يحكم على الله، أو على أسمائه وصفاته بالتعطيل، قاتلهم الله أنى يؤفكون؛ والنصوص الدالة على إثبات الصفات، كثيرةٌ جدًّا.



(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٨٩).

وقد صنَّفَ فيها أهلُ السُّنَّةِ مِنَ المحدِّثينَ، والعُلماء، مُصنفات كبارًا، ومن ذلكَ:

كتابُ «السُّنَّةِ» لعبدِ الله ابن الإمَامِ أَحمد، ذكرَ فيه أقوالَ الصَّحابةِ، والتابعينَ، والأَئمةِ، وكتابُ «التوحيد» لإمامِ الأَئِمة: محمد بن خزيمة، وكتابُ «السُّنَّة» للأَثْرم، صَاحبُ الإمَامِ أَحمد، وكتابُ «عُثمان بن سَعيد الدَّارِمي»، في ردِّه على المَرِّيسي[١]، وكتابُ «السُّنَّةِ» للخَلَّال، وكتابُ «العُلو» للذَّهَبِي، وغيرُ ذلكَ مِمَّا لا يُحصَى كَثْرةً، وللهِ الحَمدُ والمِنَّة[٢]

---

[١] بشر المريسي، هو: بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمٰن المَريسي، العدوي بالولاء البغدادي، فقيه معتزلي عارف بالفلسفة (١٣٨ ـ ٢١٨هـ).

أدرك مجلس أبي حنيفة وأخذ نُبَذًا منه، ثم لازم أبا يوسف وأخذ الفقه عنه، وبرع حتى صار من أخص أصحابه، وكان ذا ورع وزهد، غير أنه رغب عنه الناس لاشتهاره بعلم الكلام والفلسفة، وكان أبو يوسف يذمه ويعرض عنه. قال الذهبي: ونظر في الكلام، فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى وجرّد القول بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره، وعالمهم، فمقته أهل العلم، وكفره عدةم[(١)].

[٢] * بعض مصنفات السلف في الصفات:

قال المؤلف: (وقد صنف أهل السُّنَّة، من المحدثين، والعلماء، مصنفات كبارًا، ومن ذلك: كتاب «السُّنَّة» لعبدالله ابن الإمام

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩)، والنجوم الزاهرة (٢/ ٢٢٨).

....

أحمد...) إلخ. ألَّف علماء أهل السُّنَّة مصنفات كبيرة في عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته. والرد على المبتدعة، **منها**:

- كتاب «السُّنَّة» لعبد الله ابن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي أبو عبد الرحمٰن (٢١٣ ـ ٢٩٠هـ) الإمام الحافظ الثقة، وكتابه «السُّنَّة» ذكر فيه أقوال الصحابة، والتابعين، والأئمة من الأسماء والصفات لله ﷻ، ومن ذلك صفة العلو، وهو مطبوع[(١)].

- وممن صنَّف في هذا الباب: الإمام الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السُّلمي النيسابوري (٢٢٣ ـ ٣١١هـ) بكتاب قيّم أسماه: «كتاب التوحيد، وإثبات صفات الرب ﷻ التي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، الذي نزله على نبيه المصطفى ﷺ، وعلى لسان نبيِّه، بنقل الأخبار الثابتة الصحيحة، نقل العدول عن العدول، من غير قطع في إسناد، ولا جرح في ناقلي الأخبار» وقد طبع[(٢)].

- ولتلميذ الإمام أحمد بن حنبل: الأثرم؛ أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي الأثرم الطائي، وقيل: الكلبي (٢٦١هـ) الحافظ المتقن كتاب «السُّنَّة»[(٣)].

- وأما عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي (٢٨٠هـ) الإمام العلامة الحافظ، الناقد، فقد صنَّف كتابًا بديعًا في «الرد على بشر المرِّيسي» عنوانه: «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افتراه على الله ﷻ من

(١) طبقات الحفاظ ص٢٨٨؛ طبقات الحنابلة (١/ ١٨٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥).
(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٦٦)؛ الشذرات (٣/ ٢٦٦).

....

التوحيد». قال الذهبي: كان عثمان الدارمي جذعًا في أعين المبتدعة، وهو الذي قام على محمد بن كرام، وطرده من هراة فيما قيل. وقال: وفاق أهل زمانه، وكان لهِجًا بالسُّنَّة، بصيرًا بالمناظرة[١].

وكان بشر المريسي من رؤوس المبتدعة الجهمية، وقد رد عليه الإمام الدارمي ردًّا محكمًا نافعًا. والكتاب مطبوع.

- ومن الكتب الحافلة: كتاب «السُّنَّة» لمصنفه الإمام أحمد بن محمد بن هارون الخلال الحنبلي (٣١١هـ)، وهو من أجمع المصنفات، ضمنه أقوال الأئمة في عقيدة السلف، وردودهم على أهل البدع من الروافض، والمرجئة، والقدرية، والجهمية. والكتاب قد طبع[٢].

- وأفرد الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عقمان بن قايْماز بن عبد الله الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) مؤرخ الإسلام، كتابًا مفردًا في «العلو» وهو مطبوع.

والمصنفات في هذا عديدة مشهورة **كما قال المؤلف**: **(وغير ذلك مما لا يحصى كثرة، ولله الحمد والمنة)**، **منها**:

«كتاب السُّنَّة» للبربهاري، وكُتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم وغيرهم.

وهذا من نصر الله لدينه، وحمايته لجناب التوحيد.



(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧).

ونذكرُ بعضَ الأحَاديثِ الصَّريحةِ في المَعنى[١]، فمنْ ذلك: ما في الصَّحيح عن النَّواس بنِ سمعان قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا أرادَ اللهُ تعَالى أن يُوحِيَ بالأَمر، أو إذَا تكَلَّم بالوَحي، أخذتِ السَّماواتِ منه رَجفةٌ، أو قالَ: رعدةٌ شديدةٌ، خَوفًا منَ اللهِ ﷻ، فإذا سمعَ ذلكَ أهلُ السماوات، صَعِقُوا، وخَرُّوا لَهُ سُجدًا، فيكون أولَ من يرفعُ رأسَه جبريل، فيكلِّمُه الله منْ وَحيهِ بمَا أرادَ، ثم يمرُّ جبريلُ عَلى الملائكة، كُلَّما مرَّ علَى سَماءٍ، سألَهُ ملائكتُها: ماذَا قالَ ربُّنا يَا جبريلُ؟ فيقولُ جبريلُ: قالَ الحقَّ، وهُوَ العَليُّ الكَبير؛ فيقولُون مثلَ ما قالَ جبريلُ، فينتهِي جبريلُ بالوَحي، إلى حيثُ أمرَه الله ﷻ»[(١)].

فَفي هذا الحَديث: التصريحُ بأنَّ جبريلَ، ينزلُ بالوحي مِنْ فَوقِ السماواتِ السَّبع، فيمرُّ بها كلِّها، نازلًا إلى حيثُ أمرَهُ الله؛ وهَذا صريحٌ: بأنَّ الله تعَالى فوقَ السَّماواتِ، عَلى عرشِهِ، بائنٌ منْ خَلقهِ، كما قالَ عبدُاللهِ بنُ المبارك، لمَّا قيلَ له: بِمَ نعرفُ ربَّنا؟ قالَ: بِأَنَّهُ علَى عَرشهِ، بائنٌ من خَلقهِ[٢].

---

[١] هنا سيذكر المؤلف صفحتين أو ثلاث صفحات كلها أدلة على أن الله فوق العرش؛ أدلة يسردها ثم يعقب بذكر الشاهد فيها.

[٢] **قوله**: (إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر).

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٥١٥)؛ وابن جرير (١٩/ ٢٧٨)؛ وابن خزيمة في (٥٩١)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٥٣)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٠٠)؛ وأبو نعيم (٥/ ١٥٢)؛ وأورده ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٧٠٧)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وقال: قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٨) نسبته إلى ابن مردويه والطبراني، وقد روى مسلم رقم (٢٢٢٩) من حديث ابن عباس شاهدًا له.

....

فيه: إثبات صفة الإرادة لله ﷻ، **وإرادة الله نوعان**:

١ - خلقية كونية قدرية، لا يتخلف مرادها.

٢ - وإرادة دينية شرعية أمرية، قد تحصل وقد لا تحصل.

والإرادتان الكونية والدينية تجتمعان في المؤمن، وتنفرد الكونية في حق الكافر، فالكونية مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٥]؛ يعني: كونًا وقدرًا، والإرادة الدينية؛ كقوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ يعني: دينًا وشرعاً.

قوله: (أن يوحي بالأمر) **فيه**: إثبات أن جبريل ينزل بالوحي من فوق السمٰوات، **وفيه**: أنه يوحي بالأمر من عند الله إلى قلب محمد عليه الصلاة والسلام، كما قال الله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]؛ فالله فوق العرش، ومحمد في الأرض، وجبريل واسطة بين الله وبين رسله، ينزل بالوحي من الله، **ففيه**: إثبات العلو. **وفيه**: إثبات النبوة والرسالة للنبي ﷺ، **وفيه**: أن العباد مكلفون بالعمل المنزل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ﴾... [الذاريات: ٥٦]، يوحي الله إلى أنبيائه بما أحب وأراد وشرع، لم يخلق العباد عبثًا، ولم يتركهم سدى، لا يؤمرون ولا ينهون، قال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦﴾ [القيامة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقوله: (أخذت السماوات منه رجفة، أو قال: رعدة شديدة، خوفًا من الله ﷻ؛ فإذا سمع ذلك أهل السماوات، صعقوا، وخروا له سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد):

فيه: إثبات عظمة الله، وأن السمٰوات مع عظمها، إذا تكلم الله

بالوحي أصابها رجفة، أو رعدة شديدة خوفًا من الله، فإذا كانت السمٰوات على عِظَمها وكِبَر أجسامها تخاف من الله، فكيف ببني آدم؟ فواعجبًا من ابن آدم قلبه مضغة! ومع ذلك لا يَرْعَوي ولا يخاف، قال الله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾... ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، والملائكة إذا سمعوا كلام الله، صَعِقوا، وخروا لله سجدًا، قال شيخ الإسلام: «فقد أخبر في هذه الأحاديث الصحيحة أنهم يُصعقون صعوق الغشي، فإذا جاز عليهم صعوق الغشي جاز عليهم صعوق الموت»[١].

يصعقون ويغشى عليهم ويخرون لله سجدًا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام، **فإن من فضائل جبريل**: أنه أفضل الملائكة، وقال بعض العلماء: منزلة جبريل من الله كمنزلة الحاجب من الملِك. **ومن فضائل جبريل** عليه السلام **أيضا**: أنه أول من يزول عنه الصعق من الملائكة. فإذا أفاق من الصعق، يكلمه الله من وحيه بما أراد، **ففيه**: إثبات الكلام لله، وأنه بحرف وصوت مسموع، **خلافًا للمعتزلة** الذين ينكرون كلام الله ويقولون أنه مخلوق، **وخلافًا للأشاعرة** القائلين: «**كلام الله معنى قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت**»، والحق أن كلام الله بحرف وصوت لا يشبه كلام المخلوقين ولا أصواتهم، كلام يليق بجلاله وعظمته، ثبت في الحديث الصحيح: «**يقول الله: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك**». الحديث[٢]، والنداء يكون بصوت.

قوله: **(ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر على سماء، سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو**

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥).

(٢) البخاري (٧٣٧١) من حديث أبي سعيد الخدري.

العلي الكبير).

فيه: أن قول الله هو الحق، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾... ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

ففي هذا الآية دليل على أن لله اسمين وهما: العلي والكبير؛ لأن النبي ﷺ أكلقه على ربه.

وفيه: إثبات صفة العلو، وإثبات صفة الكبر، والكبرياء؛ فأسماء الله مشتقة وليست جامدة، وكل اسم مشتمل على صفة: العلي مشتمل على صفة العلو، والقدير مشتمل على صفة القدرة، والعليم مشتمل على صفة العلم.

وقوله: (فيقولون مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي، إلى حيث أمره الله ﷻ).

المؤلف استنبط من هذا الحديث: التصريح بأن جبريل ينزل بالوحي من فوق السماوات السبع؛ فيمر بها كلها، نازلًا إلى حيث أمره الله؛ وهذا صريح: بأن الله تعالى فوق السماوات، على عرشه، بائن من خلقه.

ثم قال المؤلف: (كما قال عبدالله بن المبارك).

لما قيل له: بم نعرف ربنا؟

قال: بأنه على عرشه، بائن من خلقه؛ أي: منفصل عنهم ليس مختلطًا بالمخلوقات[١].

(١) انظر: «الرد على الجهمية» للدارمي (٦٧)، وإسناده حسن، وعبدالله بن المبارك المروزي، العالم الفاضل الورع الزاهد الجواد الكريم المجاهد. قال الحافظ ابن حجر: ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير. ينظر في ترجمته: «تهذيب الكمال» (١٦/٥)؛ و«تذكرة الحفاظ» (١/٢٧٤)؛ «تهذيب التهذيب» (٥/٣٣٤)؛ «التقريب» (٢٥٧٠).

وهَذا قولُ أَئِمَّةِ الإِسلَامِ قَاطبةً، خِلَافًا للجهميَّةِ الحُلوليةِ، والفَلاسفةِ، وأهلِ الوِحْدَة، وغيرِهم، من أهلِ البدع؛ فرحِمَ الله أهلَ السُّنَّةِ والجماعة، المتمسِّكينَ بالوَحْيَين[١].

---

[١] علماء الإسلام كلهم يقولون: الله فوق العرش ليس مختلطًا بالمخلوقات، **خلافًا للجهمية الحلولية.**

* **الجهمية الحلولية والفلاسفة وأهل وحدة الوجود:**

الجهمية الحلولية هم: أتباع الجهم بن صفوان، الذين يُنكرون أن الله في العلو، فإن سألناهم: أين الله؟ قالوا: في كل مكان، حتى قالوا: إنه في بطون السِّباع، وأجواف الطيور ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا ـ وهذا كفر وضلال.

سُمُّوا حلولية: لأنهم يقولون: بحلوله في كل مكان، حتى الأماكن القذرة! لم ينزهوه عنها، تعالى الله عما يقولون، فالله تعالى علمه في كل مكان، وذاته فوق العرش.

والفلاسفة: الملاحدة الذين أنكروا العلو.

وأهل الوحدة؛ أي: وحدة الوجود، الذين أنكروا أن يكون لهذا الكون مدبر، ليس عندهم رب وعبد، فيقولون: الوجود واحد، ويقولون: الرب هو العبد، والعبد هو الرب، وابن عربي رئيس وحدة الوجود، يقول:

الربُّ عبدٌ والعَبدُ رب ... يا ليتَ شِعْري مَن المكلَّف
إنْ قلتَ عبدٌ فذاكَ ميتٌ ... أوْ قُلتَ ربٌّ أَنَّى يُكلف

سمّوا أهل وحدة الوجود؛ لأنهم يقولون: الوجود واحد؛ فالمشركون أخف كفراً منهم.

....

قال: (وغيرهم، من أهل البدع؛ فرحم الله أهل السُّنَّة والجماعة، المتمسكين بالوحيين).

الوحيان: الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣]، وقال ﷺ: «**ألا إني أُوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه**»[١].



(١) أخرجه أحمد (١٦٨٤٦) قال الشوكاني: وهو حديث صحيح. نيل الأوطار (٤/ ٢٥١).

وصحَّ عن النبيِّ ﷺ في حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه؛ أنه قالَ: «إنَّ الله كتبَ كِتابًا قبلَ أن يخلُقَ الخَلقَ: إنَّ رحمَتِي سَبقت غَضَبِي، فَهُوَ عِنْدَه فوقَ العرش»[(١)] [١].

---

[١] **هذا الحديث فيه صفات مستنبطة وفوائد كثيرة، منها:**

١ ـ **صفة الكتابة**، وهي من الصفات الفعلية التي تليق بجلاله وعظمته.

٢ ـ **صفة الرحمة** لله كما تليق به.

٣ ـ **صفة الغضب** كما يليق به.

٤ ـ **صفة الفوقية**، وأنه فوق العرش.

❋ **حل إشكال حول العرش:**

بقي إشكال وهو أن هذا الكتاب كيف يكون فوق العرش، والعرش سقف المخلوقات؟

الجواب: نقول: هذا مستثنى، العرش فوق المخلوقات، وهذا الكتاب فوق العرش.



(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤)؛ ومسلم (٢٥٧١).

وفي حَديث العبَّاس بن عَبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذي رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه؛ أن النبيَّ ﷺ ذكرَ سبعَ سمٰوات، وما بينهَما، ثم قال: «وفوقَ ذلكَ بَحرٌ، أعلاهُ وأسفلُه، كما بينَ سماءٍ إلى سَماء، ثمَّ فوقَ ذلكَ ثمانيةُ أَوْعَال، ما بينَ أظْلَافِهنَّ ورُكَبِهن، كما بينَ سماءٍ إلى سَماء، ثم فوقَ ظُهورهن العَرش، ما بينَ أعلاهُ وأسفله، كما بينَ سماءٍ إلى سَماء، واللهُ تَعالى فوقَ ذَلك»(١) [١].

---

[١] هذا الحديث يُعرف بحديث الأوعال.

وقال الذهبي: عبدالله ـ بن أبي عميرة ـ فيه جهالة.

وقال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس.

وقال ابن العربي في «عارضة الأحوذي»: متلقف من الإسرائيليات.

وحديث العباس هذا، فيه ضعف، لكن له شواهد كثيرة في المعنى.



(١) خرجه أحمد في المسند (١/ ٢٠٦)؛ وأبو داود (٤٧٢٣)؛ والترمذي (٣٣٢٠)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١٩٣)؛ وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٥٧٧)؛ وابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٤)؛ والحاكم (٢/ ٢٨٨) وصححه، الذهبي في «الميزان» (٢/ ٤٦٩). ينظر: «تهذيب السنن» لابن القيم (٧/ ٩٢، ٩٣).

وفي حديثِ ابن مسعود، الذي رواه عَبدالرحمٰن بن مَهدي، شيخُ الإمامِ أحمد، عن حمَّاد بن سَلَمة، عن عَاصِم، عن زِرْ، عن عبدالله بن مسعود، قال: «بينَ السماءِ الدَّنيا والتي تليها، خمسُمائة عام، وبينَ كلِّ سماءٍ إلى سَماء، خَمسمائة عام، وبينَ السَّماءِ السابعةِ، والكُرسي، خَمسُمائة عام، وبينَ الكُرسي والماء، خَمسمائة عام، والعَرشُ فوقَ الماء، والله تعَالى فوقَ العرش، لا يخفَى عليهِ شيءٌ من أَعمالكم»[1] [١].

---

[١] **قوله**: (خمسمائة عام)؛ أي: مسيرة خمسمائة عام، كما هو مسير الدواب في ذلك الوقت، فلو كان الإنسان يمشي بين الأرض وسماء الدنيا، لما وصل إليها السماء الدنيا إلا بعد خمسمائة عام. وهي سبع سمٰوات، **فيكون الجميع**: ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام؛ فأصبحت أربعة آلاف سنة، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام؛ **فأصبحت**: أربعة آلاف وخمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والعرش مسافته من أسفله إلى أعلاه مسافة خمسمائة عام، وجاء في بعض الأحاديث: أن كثافة كل سماء خمسمائة عام.

وذكر ابن القيم: أن هذه السموات في يوم القيامة تزول، وتتشقق، ويكون بين الأرض وبين العرش مقدار خمسين ألف سنة،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٣)؛ وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» كما في «الفتح» (١٣/ ٤١٣)؛ والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٠٢) رقم (٨٩٨٧)؛ «التمهيد» (٧/ ١٣٩)، وقال الذهبي في (العلو ٧٩): إسناده صحيح. وصححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٠٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٨): رجاله ـ الطبراني ـ رجال الصحيح.

....

﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤].

(والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)؛ **فيه**: إثبات العلو لله، وأن الله فوق العرش.



والجهميةُ جَحدُوا هذه النُّصوص، وعَانَدُوا في التَّكذِيب، فَصارُوا بذلك كُفّارًا، عندَ أكثرِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة[١].

[١] **الجهمية**: أتباع الجهم بن صفوان، **ومذهبهم**: نفي الأسماء والصفات عن الله وإنكارها، فقد **أنكروا وجود الله؛ لأن نفي الأسماء والصفات نفي لوجود الله؛** لأن الشيء إن لم يكن له اسم ولا صفة، فلا وجود له في الخارج، بل وجوده في الذهن؛ فالموجودات له أسماء وصفات، والإنسان له صفات، فهو مُركب من لحم، ودم، وشعر، وعظم، وله طول، وعرض، وعينين، ويدين، ورجلين، والجهمية نفوا صفات الخالق؛ **فقالوا**:

لا فوق ولا تحت، ولا سميع ولا بصير، ولا عليم ولا قدير، ولا مُباين ولا محايز، ولهذا **قال بكفرهم أكثر أهل العلم**، وذكر ابن القيم أن خمسمائة عالم كفَّروا الجهمية، فقال في «الكافية الشافية»:

ولقَد تقلَّدَ كُفرَهم خَمسُونَ في عَشرٍ من العُلماءِ في البُلدانِ[١]

بعض العلماء كفَّر علماءهم دون العامة؛ لأنهم جحدوا النصوص التي فيها إثبات الأسماء والصفات لله ﷻ، وعاندوا فصاروا كفارًا.



(١) الكافية الشافية رقم (٦٣٣).

وهَذا القدْرُ الذي ذَكرنا، كافٍ في بَيانٍ ما عليهِ أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ، منْ عُلوِّ اللهِ تَعالى على جميعِ المخلُوقات، واستوائِه عَلى عرشِهِ، وقد تَظاهرتِ الأدلةُ، منَ الكِتابِ، والسُّنَّةِ على ذلكَ؛ ولو ذَهبنا نذكرُ ما وردَ في ذلكَ، لاحتملَ مُجلدًا، فالحمدُ للهِ الَّذي حَفَظَ على الأُمة دينها، في كِتابه، وسُنَّةِ رسُولِهِ، وبنقلِ العُلماءِ، الذينَ هُم في هذِه الأُمَّةِ؛ كأنبياءِ بَني إسرائيلَ، وهَدانا إلى ذلكَ، فأبطَلَ اللهُ بالعلماءِ كلَّ بدعةٍ وضَلالةٍ، حَدثت في هذِه الأُمة، فَيا لَها مِن نعمة، ما أجلُّها في حقِّ منْ تَلقَّى الحقَّ بالقَبُول، وعَرَفَه، ورضِيَ به، نسألُ الله أن يجعلنَا شاكرينَ لنِعَمِه، مُثنينَ بها عليه، فله الحمدُ لا نُحصي ثناءً عليه، هُو كما أثَنى على نفسِه، وفوقَ ما يُثنى عليهِ خلقه[1].

---

[1] أي: هذه الأدلة كافية في إثبات الأسماء والصفات، والعلو، والاستواء، (وقد تظاهرت الأدلة، من الكتاب، والسُنَّة على ذلك): تظاهرت الأدلة؛ أي: تكاثرت وقوَّى بعضها بعضًا في إثبات العلو، والأسماء والصفات، (ولو ذهبنا نذكر ما ورد في ذلك، لاحتمل مجلدًا، فالحمد لله الذي حفظ على الأمة دينها، في كتابه، وسُنَّة رسوله، وبنقل العلما، الذين هم في هذه الأمة؛ كأنبياء بني إسرائيل)، الله ﷻ حفظ الدين بكتابه، وبالسُّنَّة النبوية، وبنقل العلماء؛ فالعلماء في هذه الأمة، مثل أبناء بني إسرائيل، فبنو إسرائيل كَثُر فيهم الأنبياء، كلما مات نبي خلفه نبي، وإذا ذهب الرسول بعث الله أنبياء، مثل: موسى عليه السلام رسول بُعث إلى أمة، فجاء بعده أنبياء بني إسرائيل، كلهم يحكمون بالتوراة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، مثل: داود،

....

وسليمان، وزكريا، ويحيى وغيرهم ﷺ، وذلك مدة طويلة تتابع فيها الأنبياء، حتى بعث الله: عيسى، ثم بعده نبيُّنا ﷺ، وهو خاتم الأنبياء وأفضلهم، وهذه الأمة ليس فيها أنبياء بعد نبيها محمد ﷺ، فجعل الله العلماءَ ورثة الشريعة، وهداهم إلى ذلك **(فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة، حدثت في هذه الأمة، فيا لها من نعمة، ما أجلَّها في حق من تلقى الحق بالقبول، وعرفه، ورضي به)**؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، يُبينون البدع، وما يدل على بطلانها، ومن أعظم النعم على العباد أن حفظ الله لهم هذا الدين وهذه الشريعة، بنقل العلماء لها خلفًا عن سلف.

(نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمه، مثنين بها عليه، فله الحمد لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه خلقه) نعم، له الحمد سبحانه، هو أهل الحمد، وهو المستحق للحمد، ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القَصَص: ٧٠].



فأهلُ السُّنَّةِ والجَماعة: عَرفُوا ربَّهُم، بما تَعرَّفَ بهِ إليهِم، منْ صفاتِ كمالِه، اللَّائقةِ بجَلَالِ الله، فأثبتُوا له تَعالى ما أثبَتَهُ لنفسِه، وأثبَته له رسولُه، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل؛ وعرفُوه بأفعالِه، وعجائبِ مخلُوقاته؛ وبمَا أظهَرهُ لَهم منْ عَظيمِ قُدرتِه، وبمَا أسبغَهُ عليهِم منْ عَظيمِ نِعَمه، فَعبدُوا ربًّا أحدًا صمدًا، إلَهًا واحدًا، وهو الله الذي الإلَهية وصفُه؛ فالخلقُ خلقُه، والمُلكُ ملكُه، لا شريكَ لَه في إلَهيتهِ، ولا فِي ربُوبيتهِ، ولا فِي مُلكِه، تَعالى وتَقدَّس، كَما قالَ تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞﴾ [الناس: ١ ـ ٣]، ونزهُوه عمَّا تَنَزَّه عنه، وعَن كُلِّ ما فيهِ عيبٌ ونقصٌ، وعن كُلِّ ما وصَفتهُ به الجهميةُ، وأهلُ البدعِ، ممَّا لَا يليقُ بجلالهِ وعَظَمتِه. فعطَّلُوه منْ صفاتِ الكَمال، وصَارُوا إنَّما يعَبدُونَ عَدمًا، لأنَهُم وصَفُوه بما يُنافِي الكَمال، ويوقعُ في النَّقصِ العَظيمِ، فشبهُوهُ بالناقِصَاتِ تارةُ، وبالمعدُوم تارةً، فَهُم أهلُ التشبيهِ، كما عرفتَ مِنْ حَالِهم، وضَلالِهم، ومُحالِهم[١].

---

[١] **أهل السُّنَّة والجماعة هم**: أهل الحق، وهم الطائفة المنصورة، وهم الصحابة، ومن تبعهم، فهم أتباع النبي ﷺ **سموا أهل السُّنَّة**: لأنهم لزموا سُنَّة النبي ﷺ، **وسموا الجماعة**: لأنهم اجتمعوا على الحق، عرفوا ربهم، بما تعرَّف به إليهم، من صفات كماله، اللائقة بجلال الله، فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله، إثباتًا بلا تمثيل.

فالله تبارك وتعالى تعرَّف على عباده، فأخبر عن نفسه بأسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞﴾ [الحشر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ

....

ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

فلما قال سبحانه: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، أثبتنا له صفة الرضى، ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]، أثبتنا له صفة الغضب، ﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]، أثبتنا له السخط، ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، أثبتنا له صفة الكره، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أثبتنا له صفة الاستواء، وفي الحديث: «**ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له**»[(١)]. أثبتنا له صفة النزول، كما يليق بجلال الله وعظمته.

قال المصنف: (إثباتًا بلا تمثيل): أثبت ﷻ لنفسه العلم فنثبت له العلم، ولا نقول كعلم المخلوق، وإنما كما يليق بجلاله وعظمته، وأثبت لنفسه ﷻ العلو فنثبت له العلو، كما يليق بجلاله.

(وتنزيهًا بلا تعطيل)؛ أي: ننزهه عن النقائص بلا نفي للصفة، وله الصفات بلا مماثلة للمخلوقات على حدّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(وعرفوه بأفعاله)؛ أي: عرفوه بأنه الخلَّاق، الرزاق، المحيي، المميت، المدبر لهذا الكون.

(وعجائب مخلوقاته): هذه المخلوقات كالسمٰوات، والأرضين، والأشجار، والأحجار، هذه عجائب تدل على عظمة الله وقدرته.

(وبما أظهره لهم من عظيم قدرته)؛ كالسمٰوات، والأرضين، والأفلاك ونحوها.

---

(١) رواه البخاري (١١٢٨)؛ ومسلم (١٧٢٢) من حديث أبي هريرة.

(وبما أظهره لهم من عظيم قدرته، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه)؛ أسبغ علينا نعمه الظاهرة والباطنة؛ كنعمة الرزق، والخلق، والعافية، والشمس، والقمر.

قال: **(فعبدوا ربًّا أحدًا)**؛ أي: عبدوا ربًّا متوحدًا لا شريك له، ولا مثيل له.

(صمدًا)؛ أي: صَمدٌ في نفسه، فلا جوف له ولا يحتاج إلى أحد، وتصمد إليه الخلائق في حوائجها.

(إلٰهًا واحدًا)؛ أي: مبعودًا واحدًا لا شريك له.

(وهو الله الذي الإلٰهية وصفه)؛ أي: الإله صفته المستحق للعبادة.

(فالخلق خلقه، والملك ملكه، لا شريك له في إلهيته، ولا في ربوبيته، ولا في ملكه تعالى وتقدس): خَلق الله؛ كالسمٰوات، والأرضين، والجن، والإنس، والحيوان، وهو مالك كل شيء، لا شريك له في عبادته، ولا في ربوبيته؛ لأنه الرب الواحد المتصرف المدبر لهذا الكون، وما يجري فيه سبحانه؛ أي: هو المالك لا يشاركه في الملك أحد أبدًا.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]؛ أي: هو ربهم المتصرف فيهم المدبر لما في هذا الكون.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾؛ أي: مالكهم.

﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ أي معبودهم.

ثم قال المصنف: (ونزهوه عما تنزه عنه، وعن كل ما فيه عيب ونقص): أهل السُّنَّة نزَّهوا الله سبحانه عما فيه عيب ونقص؛ كالصاحبة، والولد، والشريك، وكل عيب.

....

(وعن كل ما وصفته به الجهمية، وأهل البدع، مما لا يليق بجلاله وعظمته فعطلوه عن صفات الكمال)، فنفوا عنه العلم، والسمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، وسائر الصفات والأسماء؛ فشبهوه بالجمادات والمعدومات.

(وصاروا إنما يعبدون عدمًا): لأن الذي تُنفَى عنه الأسماء والصفات يكون عدمًا، فلا يتكلم ولا يريد، ولا يوصف بالفوقية، ولا سمع، ولا بصر، ولا علم، ولا قدرة، ولا بشيء من الأسماء والصفات.

ولذا قال المصنف: **(لأنهم وصفوه بما ينافي الكمال، ويوقع في النقص العظيم، فشبهوه بالناقصات تارة، وبالمعدوم تارة، فهم أهل التشبيه، كما عرفت من حالهم، وضلالهم، ومحالهم)**.



وأمَّا: ما أوردَهُ هذا الجَهمِيُّ الجَاهل، مِنْ آياتِ العلم؛ كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؛ فلا مُنافاةَ بينَ اسْتوائهِ عَلى عَرشِه، وإحَاطةِ عِلْمهِ بخَلقهِ؛ والسِّياقُ يدلُّ على ذلك، أمَّا الآيةُ الأُولى، فهِيَ مَسبوقةٌ بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]، ذكرَ استواءه عَلى عَرشه، وذكرَ إحاطةِ علمِه بما في الأرضِ والسماوات، ثم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي: بعِلْمِه المُحيطِ بما كانَ، وما يَكُون.

وأما الآيةُ الثانيةُ، فَهِي كذلكَ مَسبُوقةٌ بالعلم، وختَمها تَعالى به، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]؛ فعُلِمَ أنَّ المرادَ: عِلْمُه بخَلقه، وأنه لا يَخفَى عليهِ شيءٌ من أَعمالِهم، كما قالَ تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢][١].

---

[١] **هذا كلام من المؤلف في الجمع بين نصوص العلو، والفوقية، ونصوص المعية:**

فالله تعالى موصوفٌ بالعلو، وأدلة علوه تزيد أفرادها على ألف دليل، ومن الأدلة العامة التي يدخل تحتها أفراد من الأدلة كثيرة؛ **فكل دليل في استواء الله على العرش**، فهو دليل على العلو، **وكل**

دليل على أن الله في السماء، دليل على العلو، **وكل دليل في الصعود**، دليل على العلو؛ لأن الصعودَ يكون من أسفل إلى أعلى، **وكذلك كل دليل في الرفع**؛ كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨] دليل على العلو.

ووصف الله نفسه بالمعية، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤]؛ فلا تنافي بين الوصفين؛ العلو والمعية؛ لأن المراد بالمعية مطلق المصاحبة، وليس المراد بالمعية أنه بذاته مع المخلوقات؛ لأنه فوق العرش، لكنه معهم بعلمه واطلاعه وإحاطته، ونفوذ قدرته ومشيئته، وأما هو سبحانه فهو فوق العرش.

وأهل البدع ضربوا النصوص بعضها ببعض، وأبطلوا نصوص العلو والفوقية، بنصوص المعية، فقالوا: نصوص المعية دليل على أنه سبحانه مع المخلوقات، أما نصوص العلو فضربوا بها عرض الحائط.

وهذا كفر وضلال؛ لأن نصوص القرآن والسُّنَّة متوافقة لا تتناقض.

وأهل السُّنَّة قالوا: هو فوق العرش حقيقة، وهو مع المخلوقات حقيقة، فليست المعية تعني الاختلاط بالمخلوقات.

بل المعية في لغة العرب لمطلق المصاحبة، تقول العرب: ما زلنا نسير والقمر معنا[(١)]، مع أن القمر في السماء فوق الرؤوس، فهل هو مختلط بالمخلوقات، ويقول الواحد: المتاع معي، وإن كان فوق رأسه، ويبكي الصبي ويطلع عليه أبوه من الدور الثاني أو الخامس أو السابع فيقول: أنا معك! فيسكت الصبي. مع وجود

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٩٨).

المسافة التي بين الأب والصبي؛ فالمعنى: أني أُراقبك ومُطلّع عليك، معتنٍ بك، لا يصيبك أذى وأنا أراقبك، فأنا مصاحب لك.

فالمعية لا تعني الاختلاط، لكن هؤلاء المبتدعة قالوا: الله مختلط بالمخلوقات، في كل مكان. فكفروا بذلك نعوذ بالله من ذلك.

والمؤلف جمع بين النصوص بما ذكر:

فقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾. المعية، معية علم ليست معية اختلاط وامتزاج. وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؛ أي: بعلمه المحيط بما كان، وما يكون، وهذا ليس تأويلًا، وإنما أُخذ من الآية.

والمعية مسبوقة بالعلم، وجاء بعدها وصف الله بالعلم؛ فهذا دليل على أنها آية علم؛ لأن الله افتتح الآيةَ بالعلم واختتمها بالعلم، فدلَّ على أن معنى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾؛ أي: بعلمه وإحاطته وقدرته واطلاعه، ومشيئته وهو فوق العرش، وهذا ما عناه المؤلف بقوله: **(فعُلم أن المراد: علمه بخلقه، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]).**



وهذا المَعنى الذي ذَكرنا، هو الَّذي عليهِ المُفسرونَ، من الصَّحابةِ، والتابعينَ، والأَئِمة، وجميعِ أهل السُّنَّة والجماعة.

وأما الجهميَّةُ، وأهلُ البدع، فحُرِمُوا معرفةَ الحقِّ، لانحِرافِهم عنه، وجَهلِهم بهِ، وبالقُرآنِ، والسُّنَّة. كما قالَ العلَّامة ابنُ القيِّم. ـ رحمه الله تعالى ـ:

ثَقُلَ الكتابُ عليهمُ لمَّا رأوْا تقييدَهُ بشرائعِ الإيمَانِ[1]

ومِنَ المعلُومِ: أنَّهُ لَا يَقبل الحَقَّ إلَّا منْ طَلَبه[١].

[١] أي: هذا الجمع الذي ذكرناه بين نصوص المعية، ونصوص الفوقية، وأن معنى المعية: هي المصاحبة المطلقة، وأن الله معهم بعلمه واطلاعه وقدرته، هذا هو الذي ذكره المفسرون الذين يفسرون القرآن، من الصحابة، والتابعين، والأئمة، وجميع أهل السُّنَّة والجماعة.

أما الجهمية فقالوا: باختلاطه بخلقه.

فأيهما يؤخذ بقوله؟ هل يؤخذ بتفسير الصحابة والتابعين ومن بعدهم؟ أم يؤخذ بتفسير الجهمية؟

الجواب: بلا ريب أن يؤخذ بقول الصحابة؛ لأنهم هم الذين شاهدوا التنزيل، وعرفوا القرآن والسُّنَّة، وعرفوا أسباب النزول، فالقرآن يُفسَّر بالنصوص وأقوال الصحابة والتابعين، والأئمة، لا بفهم الجهمية وأهل البدع.

قال المؤلف: (وأما الجهمية، وأهل البدع، فحرموا معرفة الحق، لانحرافهم عنه، وجهلهم به، وبالقرآن، والسُّنَّة)؛ لأنهم عرفوا

(١) الكافية الشافية رقم (٥١٨١).

....

الحق وانحرفوا عنه عن بصيرة، قال الله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]؛ لأنهم تركوا الحق بعد وضوحه لهم، فعاقبهم الله بالزيغ وصرف قلوبهم عن الحق **(كما قال العلامة ابن القيم، رحمه الله تعالى:**

ثَقُلَ الكتابُ عليهمُ لمَّا رأوْا تـقـيـيـدَهُ بـشـرائـعِ الإيـمَـانِ)

أي: أوامر القرآن والسُّنَّة تقيدهم وتمنعهم من شهواتهم ومن المحرمات، فثقل عليهم أوامر الكتاب فتركوه.

(ومن المعلوم: أنه لا يَقبل الحقَّ إلا من طلبه) الذي يطلب الحق ويبحث عنه يقبله ويرضى به، أما الذي لا يريده، فهذا لا حيلة فيه، فهذا حتى لو جاءه الحق ما قَبِلَه؛ لأنه لا إرادة عنده، بخلاف الذي يريد الحق، فهو الذي يسأل عنه ويقبله ويرضى به، فإنْ وجدَه عمل به. قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة: ٤١].



وأمَّا أهلُ البدعِ، فَأُشرِبُوا فِي قُلوبهم مَا وقَعُوا فيهِ مِنَ البِدَعِ، والضَّلالِ، وجَادلُوا بِالبَاطِلِ ليُدْحِضُوا بهِ الحقَّ، فأبَى اللهُ إلَّا أنْ يُتِمَّ نُورَه، ولو كَرِهَ الكافِرُونَ[١].

---

[١] * ضلال أهل البدع:

قال المؤلف: (وأما أهل البدع، فأشربوا في قلوبهم)؛ أي: تمكنت البدع والضلالة من قلوبهم؛ كالثوب الذي أُشرب الماء، كما أن بني إسرائيل لما عبدوا العجل أشربوا في قلوبهم حب العجل، حتى عبدوا العجل من دون الله، ولما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه، وترك أخاه هارون ـ وكان نبيًّا عليه السلام ـ مثله فصنع لهم السامري ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨] وقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه: ٨٨]، فعبدوه من دون الله. هذا وَهُم قد خرجوا مع نبيهم قبل ذلك، ورأوا هلاك فرعون في البحر، ولما مَرُّوا بأناس يعبدون الأصنام قالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨] فلما ذهب لميقات ربه، ورجع وجدهم يعبدون العجل.

قال المؤلف: (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، فأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون). فالله متم نوره، وناصر دينه رغم أنوف الكافرين.



فَإذا عرفتَ ذلكَ، فَيتعيَّنُ: أنْ نسألَ هَذا الجَهمي، وغَيره مِنَ المبتدعة، عن أُمورٍ لا يَسعُ مُسلمًا أن يجهَلَها؛ لأنَّ الإسلامَ: يتوَقَّفُ على مَعْرِفَتِها.

فَمنْ ذلكَ، ما معنَى كَلمةُ الإخْلَاص: لا إِلٰهَ إِلَّا الله؟ ومَا الإِلَهيَّةُ المنفِيَّةُ بِلَا النَّافية للجِنْس؟ ومَا خَبرُها؟ وما معنَى الإِلَهِيَّةُ التي ثَبتت للهِ وحدَه، دُون مَا سِوَاه؟ ومَا أنواعُ التَّوحيدِ؟ وألقابه؟ وأركَانِهِ؟ ومَا مَعْنَى الإخْلاص، الَّذِي أمرَ اللهُ بِهِ عِبَادَه، وأخبرَهُم أنَّه لَهُ وحدَه؟ ومَا تَعريفُ العِبَادَةِ التي خُلِقُوا لَهَا؟ وما أقسامُ العِلْم النَّافع، الَّذِي لَا يَسع أحدًا جَهْلُه؟ ومَا مَعنى اسْم اللهِ تَعالى، الَّذِي لا يُسمَّى بهذَا الاسْمِ غَيرُه؟ ومَا صِفةُ اشتقَاقِه مِنَ المَصْدرِ الذي هُو مَعْنَاه؟[١].

---

[١] **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ **في ختام هذه الرسالة وجه أسئلة للجهمي إن عرف جوابها فهو مسلم، وإن لم يعرفها، فما عرف الإسلام؛** لأن مدار الإسلام عليها.

- **فقال له:** (ما معنى كلمة الإخلاص؟).

والجواب: معناه: لا معبود بحق إلا الله. فالإلٰه هو المعبود.

- **وقال له:** (ما الإلٰهية المنفية بلا النافية للجنس؟).

والجواب: الإلٰهية المنفية كل أحد إلا الله، هي: العبادة الحقة لا تكون إلا لله.

- **وقال له:** (وما خبرها؟).

والجواب: خبرها محذوف تقديرها: حق.

....

ـ **وقال له:** **(وما معنى الإلَهية التي ثبتت لله وحده، دون ما سواه؟)**.

والجواب هي: العبادة، بجميع أنواعها؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والذبح، والنذر، والاستعانة، والاستغاثة، والتوكل، والرغبة، والرهبة.

ـ **وقال له:** **(وما أنواع التوحيد؟)**.

والجواب: أنواع التوحيد ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله هو؛ كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والملك، والتدبير.

وتوحيد الألوهية: توحيد الله بأفعال العبد؛ كالنذر، والاستغاثة، والدعاء، والطواف، والصلاة، والصيام.

وتوحيد الأسماء والصفات: هو الإيمان بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسُّنَّة.

ـ **قال له:** **(وما أركانه؟)**.

والجواب: **التوحيد لهُ ركنان:**

الركن الأول: (لا إله) نفي.

الركن الثاني: (إلا الله) إثبات.

أما توحيد الأسماء والصفات، فله ثلاثة أركان:

الركن الأول: إثبات الأسماء والصفات لله.

الركن الثاني: تنزيه الله عن النقائص، والعيوب، والمثيل، والشبيه.

الركن الثالث: قطع الطمع عن إدراك الكُنْه والكيفية.

....

ـ **وقال له**: (وما معنى الإخلاص، الذي أمر الله به عباده، وأخبرهم أنه له وحده؟).

والجواب: الإخلاص هو: إفراد الله بالعبادة؛ بأن تُخْلِص عملك لله، بمعنى: أن تخص الله بالعبادة؛ فتخصه بالصلاة، وتخصه بالصيام، وتخصه بالدعاء، وتخصه بالنذر، وتخصه بالاستغاثة، فلا تجعل لله شريكًا مطلقًا في كل شيء.

ـ **وقال له**: (وما تعريف العبادة التي خُلقوا لها؟).

والجواب: عرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة[(١)].

وذلك يكون بفعل الأوامر، واجتناب النواهي. تُفعل الأوامر تَعبُّدًا لله، وإخلاصًا له، سواء أكان أمر إيجاب أو استحباب.

وتُترك النواهي سواء كانت للتنزيه أو التحريم؛ خوفًا من الله وتعبدًا له.

ـ **وقال له**: (وما أقسام العلم النافع، الذي لا يسع أحدًا جهلُه؟).

والجواب: العلم النافع ثلاثة أقسام.

القسم الأول: العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله.

القسم الثاني: العلم بالأوامر والنواهي، وهو دين الله الذي شرعه.

القسم الثالث: العلم بالجزاء يوم القيامة؛ جزاء الموحدين المؤمنين، وجزاء الكفار.

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٤٩).

....

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الكافية الشافية»:

والعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ ما لَهـا مِنْ رَابع والحَقُّ ذُو تِبْيَانِ
عِلمٌ بأوصَافِ الإلَهِ وفِعْلِه وكَذَلِك الأسْمَاءُ للرَّحْمَنِ
والأَمْرُ والنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي[(١)]

ـ **وقال له: (وما معنى اسمُ الله تعالى، الذي لا يُسمَّى بهذا الاسم غيره؟).**

والجواب: أسماء الله نوعان:

النوع الأول: أسماء مشتركة مثل: العليم، والسميع، والبصير، والحي، والقدير، والكريم، والملك، والرحيم، وغيرها.

النوع الثاني: أسماء مختصة بالله لا يُسمَّى بها غيره، وهي: الله، والرحمٰن، والخالق، والرازق، وعالم الغيب والشهادة. ورب العالمين.

ـ **وقال له: (وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه؟).**

والجواب: ليس المراد أن هذا مأخوذ من هذا، بل المراد: أنه تقارب المعنى وتتلاقى الحروف، فالعليم مشتق من العلم؛ **يعني**: أنَّ (عليم)، يلتقي بالعين، واللام، والميم مع العلم؛ فليس المعني: أنه مشتق منه كما يُشتق الشيء من الشيء.



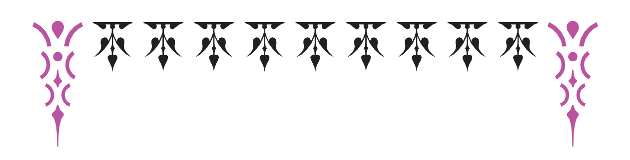
(١) الكافية الشافية، الأرقام (٤٢٥٢، ٤٢٥٣، ٤٢٥٤).

فالجوابُ عن هذا هو المطلوبُ؛ والله المستعانُ، وعليه التُّكْلان؛ ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا بالله العَلِي العَظيم، وصلَّى اللهُ على سيِّدِ المرسَلِين؛ وإمَامِ المتَّقِين، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين، ومن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّين. وسلَّم تسليمًا كثيرًا[١].



[١] ثم ختم المصنف رسالته بعد توجيهه مجموعة من الأسئلة لهذا الجهمي الجاهل الضال، وطلب منه الجواب. ونتبع ذلك بمسائل:





مسائل

❍ معنى الإرادة:

• **المسألة (١): ما معنى الإرادة عند أهل السُّنَّة؟**

الجواب: الإرادة: نوعان عند أهل السُّنَّة:

الأولى: إرادة كونية قدرية خلقية، وهذه عامة للمؤمن والكافر.

والثانية: إرادة دينية أمرية شرعية وهي خاصة بالمؤمن.

وأهل البدع ضلوا ضلالًا بعيدًا، فالمعتزلة ليس عندهم سوى الإرادة الشرعية الدينية، وأنكروا الإرادة الكونية فضلُّوا، والأشاعرة أثبتوا الإرادة الكونية القدرية، وأنكروا الإرادة الشرعية الدينية فضلُّوا، وأهل السُّنَّة هداهم الله فأثبتوا الإرادتين، وكل نوع من الإرادتين دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة.

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، هذه الإرادة الكونية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١] إرادة كونية.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، هذه إرادة شرعية دينية.

وقال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ﴾ [الأنفال: ٦٧]، هذه إرادة دينية، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ

﴿ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، هذه إرادة دينية شرعية.

وتقسيم الإرادة إلى نوعين يتضح به الحق، ويزل به اللبس، ومثال ذلك: أبو بكر الصديق ﷺ أراد الله منه الإيمان كونًا وقدرًا، ودينًا وشرعًا، فاجتمعت الإرادتان، في حقه، وأراد الله الإيمان من أبي لهب شرعًا ودينًا، ولم يرده كونًا وقدرًا، فوقعت الإرادة الكونية.

فالإرادة الكونية لا تتخلف، أما الشرعية فقد تتخلف؛ فالإرادة الكونية تنفرد في حق الكافر، كما سبق، وإرادة الله مبنية على الحكمة؛ فالله تعالى لا يقدِّر شيئًا إلا لحكمة، ولا يخلق إلا لحكمة، ولا يشرع شيئًا فيأمر به أو ينهى عنه إلا لحكمة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

❖ ❖ ❖

❍ مرجئة الفقهاء:

• المسألة (٢): هل مرجئة الفقهاء من أهل السُّنَّة؟ ولماذا سُمّوا بهذا الاسم؟ وما هي الآثار المترتبة على قولهم؟

الجواب: مرجئة الفقهاء طائفة من أهل السُّنَّة، وهم: أبو حنيفة وأصحابه من أهل الكوفة وغيرهم، وهم يوافقون أهل السُّنَّة في المعنى، ويخالفونهم في اللفظ، فقالوا: الأعمال لا ندخلها في الإيمان، ولكن نسميها بر وتقوى، والواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، ولا نسميها إيمان، وجمهور أهل السُّنَّة

قالوا: نسميها إيمان؛ لأن الله سماها إيمانًا، والآثار المترتبة على الخلاف أربعة:

أولاً: مرجئة الفقهاء خالفوا النصوص لفظًا ووافقوها معنًى، وجمهور أهل السُّنَّة وافقوا النصوص لفظًا ومعنًى، والذي ينبغي التأدب مع النصوص وموافقتها في اللفظ والمعنى.

ثانيًا: مرجئة الفقهاء فتحوا بابًا للمرجئة المحضة القائلين: بأن الأعمال ليست واجبة.

ثالثًا: أنهم فتحوا بابًا للفساق، فيأتي الفاسق فيقول: أنا مؤمن كامل الإيمان؛ كإيمان جبريل، وأبي بكر، ولأني: أنا مصدق وهو مصدق، والأعمال شيء خارج عن الإيمان، والذي فتح هذا الباب هم مرجئة الفقهاء.

رابعًا: الاستثناء في الإيمان: وهو قول: «أنا مؤمن إن شاء الله»، فمرجئة الفقهاء يمنعونه، ويقولون: لا تستثني فتشك في إيمانك؟ لأنك تعلم أنك مصدق، ولهذا فهم يسمون أهل السُّنَّة الشكاكة.

وأهل السُّنَّة يقولون: الإيمان ليس التصديق فقط، وإنما الأعمال معه، داخلة في مسماه والأعمال كثيرة، من الواجبات وترك المحرمات، وأنا لا أزكي نفسي، ولا أعلم أني أديت ما علي، فلهذا أقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فالاستثناء بالنسبة للأعمال الكثيرة، وهذا من الآثار المترتبة على الخلاف في مسألة الإيمان، أما المرجئة المحضة فمعلوم أنهم لا يوجبون الأعمال.

❍ الحكم فيمن قال: إن الله استوى على كل شيء:

• **المسألة (٣): ما حكم من قال: إن الله استوى على كل شيء؟**

الجواب: هذا قول باطل، فالله استوى على العرش فقط، والقول: بأنه استوى على كل شيء هو قول الجهمية.

❖ ❖ ❖

❍ حكم من فسّر الاستواء بالاستيلاء:

• **المسألة (٤): بعض الناس يفسر الاستواء بالاستيلاء؟**

الجواب: تفسير الاستواء بالاستيلاء قول الجهمية وهو تفسير باطل؛ لأن الاستواء غير الاستيلاء؛ لأن معنى استوى: استقر وعلا وارتفع وصعد، والاستيلاء لا يكون إلا بعد غلبة، فاستولى بعد أن كان مغلوبًا، ثم استولى فصار غالبًا، هذا يقوله الأشاعرة وغيرهم، والعلماء يقولون: إن اللام التي زادها الجهمية في (استوى) مثل النون التي زادها اليهود في (حطة)، الله قال لليهود قولوا: (حطة)، فقالوا: (حنطة)، فإن موسى عليه السلام قال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٢١] ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [الأعراف: ١٦١] (أي: ركوعًا)، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢] ثم قالوا: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، فخالفوا بالقول، وخالفوا بالفعل؛ لأنهم أُمروا بالدخول سجدًا (ركوعًا) فدخلوا يزحفون على أستاههم، وذلك لخبثهم، وأمروا بأن يقولوا: (حطة) فقالوا: (حنطة).

فعاقبهم الله بقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]؛ وهذا التحريم كوني قدري، فمات موسى عليه السلام خلال أربعين سنة في التِّيه، ومات معه الجيل الذي خلع قلوبهم خوف فرعون، ثم نشأ جيل جديد، تربوا على الشجاعة والجهاد، والشهامة، ودخل بهم فتى موسى يوشع بن نون بيت المقدس فاتحًا، وكان الفتح ليلة السبت، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللَّهُمَّ احبسها علينا، فحبست الشمس ووقفت حتى تم فتح بيت المقدس.

❖ ❖ ❖

❍ حكم قول: «عظموه يعظمكم»:

• **المسألة (٥): ما رأي فضيلتكم بهذه العبارة: اذكروا الله يذكركم، وعظموه يعظمكم؟**

الجواب: هذا قاله الله، قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وفي الحديث القدسي قول الله تعالى: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**»(١).

أما عظِّموه يعظمكم، فالله لا يعظم مخلوقًا وإنما يثيبه ويرفعه على غيره، ويصح أن يقال: وعظِّموا الله يغفر لكم ويثبكم، وفي الحديث: «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)؛ ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

• **المسألة (٦): نريد منكم التكرم بتوجيه نصيحة لمن يَدَّعي العلم ويتكلم في عظمة الله فيقع في أخطاء مقيدة، وربما يؤول بعض الآيات والأحاديث إلى غير ما دلت عليه لقلة علمه؟**

الجواب: ننصح هؤلاء أن يقعلوا عما هم عليه، ولا يجوز للإنسان أن يتكلم بشيء لا يعلمه، وليعلم أنه آثم، ومن تكلم بالقرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.

وعن عمر رضي الله عنه؛ أنه قال: عرفنا الفاكهة؛ فما الأب ثم قال: إن هذا لهو التكلف[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (من سئل عن شيء لا يعلمه فليقل: الله أعلم[٢] فإن الله قال لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦]؛ فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في تفسير الآيات بشيء لا يعلمه، وليعلم أنه سيُسأل عن كلامه، وعليه الوعيد الشديد، وإن أفتى بغير علم فعليه وزر من أفتاه وأضله، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [النحل: ٢٥].



(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٦) رقم (٣٠١٠٥)، قال ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٩٦) إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٤)؛ ومسلم (٢٧٩٨).



خاتمة:

أسأل الله أن يغفر للمصنف، وأنه يجزيه خيرًا، وأن يهدي ضال المسلمين، وأن يثبت الجميع على الهدى إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع — الصفحة